نجمة سرمدية

اسم الكتاب: **نجمة سرمدية**

اسم المؤلف: **حسين أبو طايع**

تدقيق لغوي: **عبد الفتاح السيد**

تصميم الغلاف: **علي عطية**

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٢٨١**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٦٢**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

حسين أبو طابع

نجمة سرمدية

إبهار
للنشر و التوزيع

إهداء إلى :

تلك التي كانت لي خير رفيق وخيرُ داعم، إلى من أكتُب إليها وأُهديها
الحروف؛ إلى من يَسكن الورد بين تفاصيل وجهها
{نجمتي السرمدية}

"مقدمة"

عزيزي القارئ/

لا أعلم ما الذي دفعكَ لقراءة تلك القصص البائسة!

والتي كُتبت في ظل ظروف سيئة للغاية! فها أنا أكتُب هذه الكلمات وقد فقدتُ روحًا أعزُ إليَّ من نفسي.. فقدتُ (أبي) وفقدتُ بعض الأصدقاء.. وقد فقدتُ نفسي أيضًا وأنا أخطُ تلك القصص!

لا تتخيل أنك ستجد اللون الوردي يُغلف كلماتي! وإن كنت تعتقد ذلك، فأنا أقولها لك من الآن، وقبل أن تخطو بين صفحات كتابي: "أنتَ لستَ في المكان المُناسب على الإطلاق"

ستجد الأسود سيد الألوان والمواقف أيضًا!

أنتَ هُنا على موعد مع أشهر الأطباء النفسيين، ولك غُرفة في مصحّي النفسي وسط المرضى التُعساء؛ هُنا وبين تلك الكلمات أنت البطل وأنت من تتحكم في كم المشاعر التي ستجدها بين أحضان حروفي؛ فإن كنتَ تبحث عن الحُب، فأنت على أعتاب

إحدى قصصي العاطفية، وإن كنت لا تؤمن بالحُب؛ فأهلًا بك بين أصحاب النهايات السوداوية.

هنا يا عزيزي، ستجد نفسك، وستجد قلمي ينطق بلسانك، فلا تتعجب لما ستقرؤه.

لا بأس بالرفقة أيضًا، ستحتاج ونيسًا..

سيرافقك:

الذين انتحروا، والذين ما زالوا على قيد الحياة يُعانون، ستجد الوسواس القهري، والاكتئاب، والوحدة، والانفصام كذلك!

لا تقلق!

" أنت هُنا لست بمفردك"

إن تعافيتُ من الاكتئاب، لا تتصلوا بي، لا تطلبوا الخروج معي، لا تطمئنوا عليّ، إياكم والاقتراب مني، عندما أتعافى من هذا الملعون، فأنا ذاك الكئيب الذي كنتم تتجنبونه، ذاك الصامت الممل الذي تبتعدون عنه وتتهمونه بالخبث، وأنا من حطمتم وسخرتم من أحزانه وأوجاعه، أنا الذي أنتظر منكم المودة والاحتواء، وكنت في أَمَسّ الحاجة ليد تنتشلني من مأساتي ولم أجد إلا التهميش واللامبالاة، أنا مَن واجهت الصعاب وحدي، وأنا مَن صارعت الموت وتجاوزت الآلام والاضطرابات النفسية التي عانيتها لفترة طويلة، بكيت وحدي وخُذلت وحدي وانهزمت وحدي، وأنا من ساعدت نفسي لأتعافى وأتجاوز وأنهض من جديد، لست مَدينًا لأي شخص، عندما أتعافى من هذا الملعون؛ إياكم والاقتراب مني وأنا في أفضل حالاتي، فعندما كنت في أسوأ حالاتي، لم أجد من يتحملني...

"مريض نفسي"

"في معركتك ضد الاكتئاب، سواء انتصرت أو انتصر عليك، تأكد أنك لن تعود كما كنت أبدًا، ربما للأفضل.. ربما للأسوأ، لكنك حتمًا ستودع نسختك القديمة، بسذاجتها وتلقائيتها وطفولتها."

****

بعد عناء استمر ما يُقارب الشهر وهو عالق بدوامات الفكر المُظلمة، والتساؤلات المُميتة التي لا يجد لها إجابة على الإطلاق!! حرب بداخله تندلع بين اثنين؟! قلبه وعقله.. يتصارع الاثنان في حلبة قوامها هو!! تارة ينتصر القلب وأخرى ينهزم، وهكذا تدور الأحداث بين عقله وقلبه.

حتى أنه اختلق الأحاديث بينهما؛ باتت تدور بداخله وتتلاعب به كما لو أنهما رجلان على طاولة واحدة لا يكفّان عن الجدال، وما به إلا أن يستمع ويرى من ينتصر في النهاية؟!

ها هي أولى الصراعات تبدأ بين قلبه وعقله:

بدأ القلب بالحديث قائلًا:

-هل سيعودون..؟!

شعر بأن العقل يضحك ساخرًا من سؤال القلب قائلًا:

- من رحل لن يعود يا عزيزي.

- لكنهم أحبوني.

_ إذًا لماذا رحلوا وتركوا كل تلك الندبات تملأك..؟!

_ لا أعلم، لكنك كنت تفكر دومًا في إسعادهم، لماذا تلومني الآن؟! وإن كنت تعلم أنهم سيفعلون ذلك لِمَ لم تقم بتحذيري؟!

_ لم أكن أعلم أنهم سيفعلون ذلك!!

_ إذًا فلتكف عن لومي.

وهكذا تتوالى الصراعات بين عقله وقلبه؛ صراع لا يتجاوز عدد مُنافسيه الاثنين!

قلبٌ يُريد وعقلٌ يتخلى، حُلمٌ كائن وواقعٌ مرير، حاضرٌ مُدمر ومستقبلٌ مجهول.

هالات الزمن تمكنت من قلبه؛ أهلكته فأهوت به إلى أسفل التراب، خِذلان وراء الآخر، فراق يليه فراق.. حتى أصيب بالمرض! نهايته أصبحت حتمية، يتنفس الصعداء بشق الأنفس، نبذ الدنيا ورمي بها، والموت أحب إليه من عينيه؛ بدا له أنه صعد إلى القمر ونظر إلى الدنيا من علوه السحيق وهو يرُمقها بابتسامة ساخرة قائلًا:

" أما اكتفيتِ بعد؟!"

بعد كل تلك الصراعات، قرر أن يزور طبيبًا نفسيًّا، وبعد تمعن في الأمر، اتخذ قراره بأن ينتهي به الحال داخل مصح نفسي! وهو يعلم تمامًا أنه بكامل قواه العقلية.

لا ينتظر النُصح من الأطباء.. يحفظ جيدًا كلماتهم المحفورة بصدورهم منذ أن كانوا تلاميذًا بكلية الطب ويلقونها على كل مرضاهم.. هو ذاهب لمكان يعلم جيدًا بما سيدور بداخل غرفه؟!

يريد فقط أن يترك العالم الزائف المليء بالكذب والنفاق، ليذهب إلى العالم الحقيقي حيث النعيم!! ألا يقال: "المجانين في نعيم"؟!

حيث لا كذب، لا نفاق، لا فراق، ولا تصنّع!

"فارس" شاب في العقد الثاني من العمر؛ منذ صغره وهو يعاني بعض الاضطرابات الاجتماعية التي صنعت منه كائنًا ضعيفًا وهشًا للغاية. ضغوط الأهل ونظراتهم له على أنه عديم الفائدة منذ أن رسب في الثانوية ولم يُقَل لأبيه: "يا أبا الدكتور"

كلمات والده له، كلما رآه بأنه فاشل ولا جدوى من استمراره في التعليم؛ نظراته التي يرمقه بها، كلما وقعت عيناه عليه، كل ذلك كان يصيبه بالحزن الشديد على نفسه، وأن والده على حق كما يقول: "لا جدوى منك"

نبذه أصدقاؤه بعد أن رسب ولم يعد يسأل عنه أحد! جميعهم يرون أنه فاشل ولا جدوى منه.. جميعهم رأوا ظاهره فقط! لا أحد يرى كم الألم القابع بقلبه.. لا أحد يرى أنه وحيد.....!

نشأ في حروب أهلية تعتريها الكآبة والحزن، في كل مرة يرى فيها والده يصرخ في وجه أمه كان يقطع حبلًا من نياطه ويُحمّل نفسه المسؤولية كاملةً، كأنه هو السبب في كل مشكلاتهم!

في كل مرة يرى يدًا تتخلى عنه بعدما أمسك بها بكل ما أوتي من قوة؛ يُكسر أحد أعضائه، كلما صعد إلى جبل السعادة، سقط مرة أخرى في بحور الحزن.. كلما وقف سقط.. وكلما مشى؛ تعثر.. تتوالى الخيبات واحدة تلو الأخرى حتى سرقه العمر وصار في عقده الثاني بلا هدف، بلا حلم، بلا مستقبل..

لم يكبر معه شيء سوى الحزن.. لم يكن له رفيق سوى الاكتئاب الملازم له منذ صِغره.

****

٥ يوليو ٢٠٠٩

"اليوم الأول بالمصح النفسي"

بدأ الممرضات يتهامسون فيما بينهم:

_ ها قد أتى مجنون آخر.

فيما سمع واحدة تقول لصديقتها:

_ لا أعلم لِمَ يضعون كل هؤلاء الحمقى هُنا؟! هناك عدة طرق للتخلص منهم؛ كأن ينتحر الواحد منهم وفي هذه الحالة نكون قد ارتحنا من بلائه، أو

نعطيهم المئات من القولتات الكهربائية حتى ينتهي أمرهم.. هم حقًا بلا فائدة تُذكَر وعارٌ على المجتمع.. لا بد من التخلص منهم في أسرع وقت.

ابتسم ساخرًا من قولها وأكمل طريقه مع الممرضة المرافقة له؛ يسود وجهها الغضب، وتعتريها التجاعيد أسفل عينيها، لو نظرت إلى وجهها، لأدركت حقًا معنى القسوة!

لا أعلم كيف يطلقون على مثل هؤلاء ملائكة الرحمة!! أي ملائكة هن؟!

بدأ يُردد بداخله:

_ على كل حال أنا هُنا بإرادتي وليس كما يتهامس هؤلاء الأوغاد بأنني مريض نفسي.. أنا هنا بكامل رغبتي وسأكمل ما بقى لي بهذه الحياة البائسة بين جدران ذاك المصح النفسي.

وهو في طريقه إلى غرفته مرّ بعدة غرف مرقمة؟! فطلب من الممرضة أن تروي له سبب قدوم سكان تلك الغرف إلى هنا؛ نظرت له الممرضة بعينين كما لو أنهما عينا أفعى تستعد للانقضاض على فريستها قائلة:

_ "لِمَ تُريد أن تَخوض في أوجاعهم، اكتَفِ بأوجاعك واترُكهم بِشأنِهم"

من يومها، قرر ألا يسأل مرة أخرى وترك ذلك الأمر ليكتشفه بنفسه مع الوقت.

بعد مدة من مكوثه بالمصح، عَلِمَ ترتيب الغرف وما تحويه كل غرفة من ألم!

فكانت كالتالي:

غُرفة رقم "١"

يوجد بِها رَجُل كَبير في السِن يجلس متربع القدمين بمنتصف السرير، ذو ملامح تحمل طابع القسوة واللين معًا، ولحية كثة يعتري المشيب معظمها. قتلَ حَفِيدُه الوحيد.!!

كان يُحبه حُبًا مَريضًا لدرجة قتَله خوفًا عليه، خاف أن يموت ويترُكه بين هؤلاء الذين يدعوهم بعائلتِه فما واجهه في الحياة من خذلان وتعصرات جعله يخشى عليه؛فإن كُنت مكانه لما ترددت خوفًا عليه مِن تِلك الحياة غَريبة الأطوار، وهؤلاء البشر المُفزعون؛ فهو في كِلتا الحالتين مقتول، فوالله إن معاشرة البشر هو الموتُ بِعينه.!

كَيفَ يَقتُل الرَجُل مِنا حَفيده؟! ما الذي رآهُ حتى يُقدم على هذا الفعل..؟!

غُرفة رقم "٢"

بها سَيدة في أزهى عُمرِها، جَميلة للحد الذي جعله اقتحم غُرفتها ونظر لعينيها المُلونة، ثُم دَقق النَظر بِها حَتى رأى حُزن العالم يَنطوي تَحتَ جِفنيها؛ يداها تَشققت مِن الكِتابة على جُدرانِ الغُرفة، تَكتِب قِصتها ثم تُنهيها بِجُملة واحدة:

"كنتُ بخير، لولا الآخرون..."

وجهُها تَكسوهُ هموم الحياة، ويَداها لَطختها كُفوفُ العَابرين؛ تعرضت للخِذلان مِن أقرب أصدِقائِها، اكتفت بِها عن العالم بأكمله..!

وَضعت بِها كُل ثِقتِها، ولكِن يـا أسَفاه!! ضاعت ثِقتها في الزِحام، ونُقِضت الوعود، والمواثيق، تَركتها في مُنتصف الطريق حائرة..!

تَركتها وذَهبت دونَ سابق إِنذار، أو مُبرر يشفع لها..! تَركت يَديها وألقت بِها في التُراب، ومُنذُ ذَلك اليوم وهي صامتة يُطلقون عليها (المُكتَئبة الصَامِتة) يا لهم مِن أغبياء لا يَعلمون، ولا يُدرِكون حَجم الألم الذي يُكنهُ قَلبها..!

غُرفة رقم "٣"

كَانت الغُرفة فَارِغة! لا يُوجد بِها أحد..! وجِد بِها رِسالة مَنقُوشة على الحائِط وهذا نَصَها:

" أحَدُهم عَاشرَ البَشر بطَريقة عَفوية، بالغ كَثيرًا في حُبِهم، أعطى وبذل الكَثير، قدم لهم قَلبَه كَقُربان على لوحٍ مِن ذَهب، فَكانوا كقطيع مِن الذِئاب نَهشوا بِقَلبه، وتَركوهُ فُتاتًا..!

أحب إِحدى الفَتيات، فأحَبتهُ هي أيضًا؛ ظَنّ وَقتَها أنّ الحياة تَبتَسم لَهُ للمرة الأولى..! لا سيما أنها دَخلت حَياتهُ في وقتٍ كان فاقد الثِقة بالجميع حتى نَفسِه..!

أحَبَتهُ ظَاهِريًا..! وحِنما اقتَربت مِن قَلبه، ودخلت دَائرة حُزنِه تَركتهُ... تَركَتهُ مُنذُ أول ليلة لها..! ذهبت بَعِيدًا جِدًا..!

ثُمَ تَركت لهُ رِسالة ذاتَ ليلة قائِلة فيها:

"لم تَعد تَصلُح للحياة مرة أُخرى أيُها المَريض"

حَقًا هو مَريض؛ مَريض، ومَرضُه خَطير، وإِصَابَتهُ بَالِغة، جُرحُه كان في الصَميم.. في صَميمِ قَلبه فَقُطِعَ نِياطه..!

هو حَقًا مَريض بالبشر..! جَاءَ إلى هُنا حَيثُ عالم آخر، مدينة جَديدة لا يَوجد بِها سِواه..! لا يوجد بِها إلا مَن يُشبِهُونه..!

فأقسمَ بالبقاءِ هُنا حتى النِهاية..!

مرت عشرة أيام على مكوثه في ذاك المصح النفسي، بات يعلم عنه كل شيء، أرقام الغرف وما يدور بكل غرفة وما تحمله من خبايا وأسرار، أسماء الممرضات ومن منهن تنتمي لملائكة الرحمة ومن تصنف تبعًا لشياطين الإنس!

أسماء الأطباء وردودهم الباردة وطريقة تفكير كل واحد منهم وعلاجهم للمرضى؛ كان ينبذهم جميعًا ويود لو يتقن دور القاتل المأجور فيقتل الواحد منهم تلو الآخر!

ولكن كان من بينهم دكتور "عماد" أحس أنه مختلف عنهم به ما يميزه عن غيره من زملاء القسم؛ أحب الحديث معه وكان يرفض أن يجري الجلسات مع أي دكتور آخر.

_ مرحبًا "فارس" كيف حالك اليوم؟!

_ مثل كل يوم يا دكتور؛ أُعاني.

_ تعاني من ماذا؟!

_ الاكتئاب.. أعاني الاكتئاب الملازم لي منذ أعوام.

_ إذًا لمَ لا تخبرني كيف أثر الاكتئاب في نفسك؟!

ابتسم ساخرًا من السؤال وهو يواصل النظر إلى سقف الغرفة ثم قال:

-صدقني يا دكتور لم يكتفي الإكتئاب بتهشيم قلبي، لم يكتفي بروحي المنطفئة وزرع العجز في زهرة شبابي، من الخذلان الذي واجهت وواجه الي الان. الخذلان ممن؟! من الأهل والأصدقاء. لم يكتفي من أحلامي المُحطمة التي لم يُكتب لها أن تظهر الي النور. لماذا حُطمت؟! لأنني وبكل أريحية ولدتُ منسي، كذلك أحلامي وأوجاعي ولدت منسية. كان يجب عليَّ أن أعيش فعشت، كان يجب عليَّ أن أخذل فَخُذلت. كان يجب عليَّ أن أعيش ماذا؟! أن أعيش الألم، أن أتعايش بالفاجعة. إن أشد ما يؤلم المرء أن يُخذل ممن هم الخيار الأول له بالحياة -الأهل- ورغم كل ذلك لم يُشفق عليَّ الإكتئاب، وأصابني. لا ليست مجرد إصابة! بل أنهُ أعجبته ملامحي، أعجب بي وانا أتهاوي أمامه من فرط البُكاء طيلة الليل. أعجبته تنهيدات حزني وحُطامي وإنهياري علي أحلامي التي لم تتحقق. حقًا إن

الإكتئاب وحش جائع ينقض علي فريسته كما ينقض الصقر الجارح علي أفعي تائهة بمياه مستنقع عفن. هكذا انا يا دكتور حالي كحال الأفعي التائهة، والحياةُ التي أعيشها بها هي المستنقع العفن، والإكتئاب... هو الصقر المُنقض علي فريسته.

-دع حزنك يأخذ حقه منك. لا أقول إتركه يقضي علي ما تبقي منك، لكن تقبله فأولي خطوات الشفاء من هذا الملعون- الإكتئاب- هي التقبل.

-أيجب علي الطبيب النفسي أن يذكر التقبل بين كل جملة وأخري أثناء حديثه؟! أم أنها مجرد كلمات تم تلقينها لكم فحفظتوها عن ظهر قلب؟! قل لي يا سيدي: لِمَ لا تُخبرونا عن الألم الذي نتجرع جراء تلك الأحداث؟! لِمَ لا تخبرونا عن قسوة العالم؟! وتخبروا العالم بأننا لسنا مجانين، وأن كل من يسكن هذه الأسوار العالية-المصح النفسي- هم أعقل العقلاء؟!

همَّ دكتور <<عماد>> أن يُجيب فقاطعه فارس بنبرة عالية:

-لا.. لا تُتعب نفسك بالإجابة يا سيدي، أجيبك انا. أتعلم لِمَ لا تُخبرونا وتخبروا العالم بهذه الحقيقة؟! أتعلم لِمَ؟! لأنه لا أنت ولا هم سيشعر بما نشعر، لست مضطرًا أن تضع نفسك بمكاني، لست مضطرًا أن تتعايش مع ألم ليس لك! أنت فقط تُرضي ضميرك حيال الجنيهات التي تتقاضاها بنهاية كل شهر. إعذرني سيدي علي فظاظة حديثي، ولكن دومًا الحقيقة ذات طابع مُر.. تُصيب الجميع بغُصة.

وضع كلتا يديه خلف ظهره، وأعطي ظهره لدكتور عماد، ومن ثم تقدم بعض الخطوات وقال:

-لا.. أرجوك لا يا سيدي؛ لا تضع يدك علي النصف الشمالي من صدرك التي.!

إستدار وتقدم نحو دكتور عماد، وبضحكة جنونية قال:

-ماذا؟! تشعر بها؟! تشعر بالغُصة يا سيدي؟! انا أعتذر حقًا... أعتذر لك إن أصابتك الحقيقة في مقتل.

إرتبك دكتور عماد وأخرج لُفافة تبغ، أشعلها ومن ثم جلس علي المقعد وقال:

-أكمل يا فارس. انا حقًا معجب بجُرئة حديثك، ولربما تلك طريقتي في معالجة مرضاي – من البداية- بإعطاء كامل الحُرية في إبداء أرائهم بغض النظر عن أي شئ أخر. قل كل ما يخطر علي بالك، أنت هُنا لستَ بسجن، ولست في حذب سياسي يتأثر بتجريحك ونقدك. لك الحرية المُطلقة فيما تقول. إطمئن.

تقدم فارس بإتجاه دكتور عماد، جثي منه بعض الشئ، إلتقط لفافة التبغ من فاهه، وقال بعد أن أخذ نفس بشراهة منها:

-ألا تخجل أن تُشعل السيجار أمام مرضاك؟!

وضع دكتور عماد رجلاً علي رجل وقال بهدوء:

-ولِمَ أخجل؟! كما قلت لك نحن هنا لسنا بسجن. لك مطلق الحرية، ولي انا كذلك. والأن دعنا من هذا الحديث الذي لا ثمار له، وأخبرني: كيف شعرت بمرحلة الإكتئاب الأولي؟! أعني كيف كانت..؟!

أخذ نفسًا أخر من السجارة وأطلقه بوجه دكتور عماد قبل أن يُجيب:

-كالسرطان.

-ماذا تقصد.

-أقصد أنه لا أحد يشعر بالإكتئاب في مرحلته الأولي؛ فهو كالسرطان لا يبدأ في الظهور إلا بعد أن يستوطن جسدك بالكامل، ويعلم تمام العلم أن تركه الجسد ليس بالأمر السهل. كذلك الإكتئاب يا سيدي لا نشعر به إلا بعد أن يستهلكنا تمامًا.. بعد أن ندرك أننا لن نتعافي منه ابدًا.

-إترك أمر التعافي الأن، جميعنا يعلم أن الأمر ليس بالجلي، ولن أقول لك بأن الامر سهل وسندرك الموقف في يوم أو إثنين، ولا تستعجب ايضًا من صراحتي المطلقة في حديثي معك؛ فكما تُعطيني حقائق تظن بأنها تُصيبني بغصة، أعطيك انا ايضًا.تعلم لم؟! ليس حُبًا في رد الصاع صاعين.. لا.. ليس كذلك فنحن لسنا بحرب نتسابق فيها علي النصر. بل أنت مريضي وانا طبيبك، وما تقتضيه مصلحة الطبيب تجاه المريض؛ أن يخبره الحقيقة.. الحقيقة ولا شئ غيرها.

-إذن أخبرك يا دكتور بحقيقة قد تبدو لك مزعجة بعض الشئ، ولربما لأول مرة تواجهك. انا يا سيدي لن أبوح بكل ما بداخلي معك ولا مع أحد غيرك.

-لِمَ..؟!

-لدي أسبابي، وانا ايضًا من الأشخاص المؤمنون بقول الشاعر:

لا تشكُ للناسِ.. جرحًا أنتَ صاحبهُ

لا يؤلمُ الجرحَ.. إلا منْ به ألمُ

شكواكَ للناسِ منقصةٌ.. ومن

من الناسِ صاحٍ ما بِهِ سقمُ

فالهمُ كالسيلِ والأمراضُ زاخرةٌ

حمرُ الدلائلِ مهما أهلها كتمُ

فان شكوتَ..لمنْ طابَ الزمانُ لهُ

عيناكَ تَغلي.. ومنْ تشكو لهُ صنمُ

-لكني طبيبك ويجب أن أعلم بكل ما بداخلك حتي يمكنني مساعدتك علي التعافي.

رد بمُكر:

-ألم تقل بأني لي الحرية المطلقة؟!

-بلي قلت.

-إذن لم تلزمني بأشياء لا أنوي فعلها؟! انا أعلم بأنك الطبيب وأنني المريض، لكن ليس كل الألام نستيطع التعبير عنها بالكلام، ليست كل الفواجع نجد لها كلمات مناسبة فتخرج من بين ثنايا القلوب سهلة بالشكل الذي يبدو لك. الألم الحقيقي لا يُحكي يا دكتور. تعلم لِمَ؟! لأنه لم تخلق حروف بعد تصف الألم.

نهض دكتور عماد عن مقعده، تقدم بعضُ خطوات حتي صار بمحاذاة فارس، وضع يده اليُمني علي كتفه، وقال وهو يربت عليها بقوة:

-حسنًا، لك ما شئت؛ لكن سأنتظر أن تبوح عن خفايا ألمك ذاك. ايضًا كفاك حزنًا علي ما فات، وإنظر الي الجانب المُشرق قد وجدتَ من تحكي له وتخرج جزءًا مما تُعاني منه.

-نعم، لأجل ذلك جئت هنا. ولكن يا دكتور أتري أن الحزن علي ما فات سببًا في الإكتئاب؟!

إبتسم دكتور عماد وقال:

-الإكتئاب في الأصل ليس حُزنًا ليؤثر في النفس، ليس ضيقًا او تعبًا عابرًا.. الإكتئاب مرض نفسي يأكل المصاب به.

إنتهت الجلسة عند هذا الحد، ذهب دكتور عماد، وعاد فارس الي فراشه من جديد.

****

-أراكَ شارد الذهن اليوم، ما الأمر؟!

-أقمت جلسة مع أحد المرضي بالمصح لكنه كان مختلفًا عن الأخرين.

إعتدلت هالة في مجلسها، عقدت حاجبيها وقالت:

-وما هو المختلف به؟! بعد كل تلك السنوات من العمل المتواصل تري أمرًا مختلفًا بأحد مرضاك؟! أعتقد أن ما مرَّ عليك من مرضي أعطاك الخبرة الكافية حتي تتعامل بشكل لائق مع مثل تلك الحالات المتفردة.

-لا.. كل من مروا عليَّ أثناء سنوات عملي كانوا يُعانون أمرًا ما؛ منهم من يُعاني الهلاوس السمعية والبصرية، ومنهم من يشتكي الوسواس القهري، وأخرين مصابون بالجنون قطعًا.لكن هذا لا يُشبههم، هو لا يُعاني أي مرض ورد في الطب النفسي أو البشري.. فارس يُعاني نفسه. وإن أشد مُعاناة تلك المُعاناة التي تكون مع النفس؛ يُحارب فيها المرء نفسه، مهزومًا إن انتصر مهزومًا إذا خسر، وذلك ليس للمريض فقط بل مع الطبيب ايضًا.

-كيف ذلك؟! هو يُعاني من نفسه تفهمت ذلك، انت كيف تعاني؟!

-أعاني الحذر في الحديث، في طريقة العلاج، وحتي في تصرفاتي أمامه، انا لا أتعامل مع مريض.. بل مع شخص يفهم الحياة اكثر من اللازم.

****

عماد رجل أربعيني ذو ملامح شرقية أصيلة، بشرة ليست بالبيضاء ولا السوداء – بالمنتصف- (قمحاوي) ذو لحية كسي المشيب معظمها، يتوسط وجهه نظارة من النوع التقليدي، عدسة عملاقة مربعة الشكل، وهيكل من الطراز البلاستيكي. كان قد رأي هالة في إحدي الندوات التي تعقدها المشفي التي يعمل بها – المصح النفسي- لتحسين صورة

المرضي النفسيين في عين المجتمع، وأنهم ليسوا مجانين كما يُطلق عليهم المجتمع الشرقي.

إلتقي هالة في إحدي تلك الندوات لطبيعة عملها كصحفية متخصصة في نقل الحقائق الطبية. أعجب بها من النظرة الأولي، كان حُبًا تحليليًا بعض الشئ! هو طبيب نفسي بطبيعة حاله يُحلل الشخصيات التي يتعامل معها من خلال ملامح الوجه، الايمائات، والحركات، حتي الحديث، ولكن حينما يتعلق الامر بالحُب يُصبح التحليل أكثر عمقًا مما كان.

تعرف عليها، احبها واحبته، ومن ثم خطبة وزواج. لم يرزقهما الله الولد، لكن رزقهما الرضي والقناعة التامة، والخضوع لأمر الله تعالي.

هي بمثابة عائلته والولد الذي لم يرزق به؛ يستشيرها في كافة اموره حتي امر المرضي امثال فارس، يلجأ اليها فيها. كان مُستمع جيد وكانت متحدثة بارعة؛ تُعطي الامور قدرها، تزن الكلام والمواقف، وتُخرج الحل.

****

في صباح يوم جديد، وبداية جلسة جديدة، إلتقي فيها دكتور عماد فارس:

-كيف الحال اليوم؟! (قال دكتور عماد.)

-كأمس، وغدًا كاليوم، وبعد غدٍ..

صمت قليلاً، ثم تابع:

-ومن يعلم سيأتي بعد غدٍ أم لا؟!(قال فارس.)

-اليوم سنبدأ جلسة جديدة؛ أود أن أسألك بعض الأسئلة التي قد تجدها غريبة بعض الشئ.

-حسنًا.(قال فارس.)

-هل انت حزين؟!

-لا.

-مكتئب؟!

-ايضًا لا، أقصد لا احب أن أعترف بذلك.

-لا انت حزين، ولا انت مكتئب، لكنك لست بخير! إذن ما العمل معك الان؟!

-ومن هو الطبيب فينا؟!

-أنصت اليَّ جيدًا، أنت لا تُحب الحزن من الاساس، وترفض كل اشكال الاكتئاب، لكنك هذه المرة حقًا تُعاني.كما قلت انت يوم اخر ينتهي لا يختلف عن الامس، وبالتأكيد لن يختلف كثيرًا عن الغد. لكن يجب الوقوف عند نقطة ما! الي متي ستظل تهرب وتخفي ما بداخلك.. الي متي؟! والي اين تهرب والي من؟! تهرب وتعود الي البيت من جديد؟! لا اظن انك ستفعل ذلك. تهرب الي الاصدقاء؟! الي الاهل؟! لا ايضًا، وكيف تهرب اليهم وهم أحد الاسباب الرئيسية في وجودك هُنا؟!

لن أستيطع مساعدتك علي التعافي طالما انت لا تريد ذلك، لن أقوي علي تغيير تفكيرك وتغييرك. يجب أن ينبع قرار التعافي من اعماقك اولاً، ومن ثم

يأتي دوري كطبيب. يجب أن تتقبل وتتقبل وتتقبل، حتي لا يبقي لليأس اليك طريق! حتي يتثني لي مد يد العون لك لتعود تمارس حياتك من جديد. لم الاستسلام؟! لم كل هذا الانهيار؟!

-لا أريد أن أكمل تلك الحياة البائسة التي لا أواجه بها أحدًا غير نفسي في كل ليلة.. أما عن سؤالك لِمَ أنا منهار هكذا؟! فأنا في أشد مراحل الانهيار.. ليس الآن فقط يا دكتور بل منذ زمن.. لن تُجدي معي كلماتك وطرق علاجك التي تتخذها.. قد فات اوان ذلك. كما قلت لك انا في اشد مراحل الانهيار.

-ولم جئت الي هنا اذن؟! ان كنت لا تريد التعافي لم اخترت الطريق الي هنا؟! (قال دكتور عماد بغضب.)

-جئت لحاجة في نفسي.

-لم أفهم!!

-ستفهم فيما بعد.

-حسنًا، لم لا تقول لي ما هي اشد مراحل الانهيار تلك في نظرك؟!

-أن تبقي بخير.

-وضحك مقصدك. (قال دكتور عماد بفروغ صبر)

- أقصد أنه ليس بالضرورة أن تتألم، او ان تظهر علامات الانهيار علي ملامحك، او ان تقف مهزومًا منكسرًا امام الناس، الانهيار في اشد مراحله ان تبقي صامدًا، ان تظهر بكامل قواك ظاهريًا بينما انت تنهار مئات المرات

بطانيًا؛ ذاك الانهيار الذي يُجبرك ان تبقي بخير دائمًا، لانك تعلم تمام العلم أن لا أحد يفهمك، لا أحد يستوعب الصراعات بداخلك، تنهيداتك التي تحرق اعضائك الداخلية، تلك الصراعات التي تخوضها من اجل الا تنكشف هشاشة روحك. والان بعد أن اخذت اجابتك ما الحل؟! ما العمل يا دكتور؟!

تنهد دكتور عماد بعد دقائق من الصمت، ثم قال:

-المشكلة ليست في تعاملك مع الناس أو في تعاملهم معك وفهم شعورك وما تمر به، لو كانت المشكلة كذلك لقولت لك أن تقطع علاقاتك مع أغلب المقربين منك.. تلك العلاقات المرهقة، لنصحتك بالعُزلة ايضًا وأن تصنع عالمك الخاص بها وتبتعد عن الجميع. المشكلة تكمن بداخلك انت.. تكمن بك.

-أأكون قاتل نفسي يا سيدي؟!

-نعم، قد يكون المرء منا قاتلاً لنفسه.

-وكيف ذلك؟! (قال فارس بإستنكار.)

-التدقيق، من خلال التدقيق في صغائر الأمور، النظر الي الجميع علي أنهم شخصًا واحدًا.ليس كل من حولك سيئًا، ليست كل خطوة تأخذها في حياتك وتتعثر بها تستحق هذه المعاناة، أحيانًا يكون المرء سببًا في شقائه كما هو حالك انت، تضع العقبات امامك حتي في ابسط الاشياء، فقط لانك لا تحب الاشياء التي تأتي دون عناء.

-لكنهم لم يتركوا لي فرصة، لم أجد من يربت علي كتفي، من يُمسك بيدي حين تخلي الجميع، كنت وحدي أحارب. ألسنا بشر؟! أقسم بأنني بشر أصيب وأخطئ.. جميعنا نخطئ يا دكتور، ولكن حينما أتي الدور عليَّ.. حينما تعرضت لأول خسارة بحياتي وجدتَ أبي ينهرني غير أسفٍ علي حالي. نبذني الجميع. انا ايضًا اريد النجاح ولا اريد الفشل. لو انني وجدت اليد التي تدلني لما وصلت الي هنا، لو قال لي الي: " اثق بك " لما وصلت الي هنا، لو انني وجدت اصدقائي بجواري... لو انني..!

تحشرجت الكلمات بداخله وأبت الخروج.. تلك الحشرجة التي تأتي قبل سقوط القطرة الأولي من الدموع. ثم تابع بصوت يملؤه الوجه:

-لو انني لم أولد... لم أءتي الي هذه الحياة البائسة.

عند هذه النقطة لم يتمالك نفسه، إنهمرت دموعه كالماء المنصب، عليَ صوت أنينه وبكاؤه. حتي ابكي دكتور عماد.. بكي ذاك الذي يمتلك القلب الجاف القاسي.. القلب الذي يقسوا ولا يحن. ألا يقال: " بأن فلان يمتلك هذا يمتلك قلب دكتور " تعبيراً عن القسوة!!

حينها خرجت بعض الكلمات من دكتور عماد لكنها لم تتجرئ لتخرج علي مسامع فارس فأختارات المكوث بداخله: " من انت يا هذا، وما كل هذا الألم الذي تحمل؟! من اين اتيت وكيف ظهرت؟! ولمَ انا بالتحديد؟! لأول مرة أعجز عن مداواة مريض! ولا أعلم الان من منا المريض؟! تلك الكلمات التي تخرج منك لا يقولها مريض، ولم اسمعها بها من طبيب! حتي انني اعجز عن نسج مثل تلك الكلمات؛ حينما تتكلم لا أشعر بأن

الكلمات تخرج من لسانك، أشعر بأن قلبك الذي يشتكي. لاول مرة أقف عاجز امام احد مرضاي، ولأول مرة تسقط تلك الدموع. "

توقف دكتور عماد عن حديثه مع نفسه في الوقت الذي أدرك بأن فارس قد انهار تمامًا.. او كما قد خيل له!

كان علي وشك ان يخرج كلمات مرتبة لا علاقة لها بدوره كطبيب اكثر من علاقتها بكونه إنسان. إلا أن فارس اخرج بعض القهقهات المتقطعة وأتبعها:

-إياك ان تصدق تلك الدموع، اياك ان تصدق تلك الاكاذيب. الذي امامك الان جثة خاوية! وقل لي: أني للجثث بالشعور؟!

ثم تابع قهقهاتو، ولكن دموعه ما زالت تنهمر.

-حتي انك لا تريد ان تعترف بألمك. (قال دكتور عماد في أسي.)

-أعترف بماذا؟! ليس من السهل يا سيدي أن أعترف بمثل هذه الامور، انا الذي دومًا ارفض واقاوم فكرة الاعتراف والخضوع.. اعترف الان؟! انت تحلم.

-دعك من كبريائك ذاك، انت تكذب علي نفسك.

-بل أرممم ما تبقي مني.

-يُرثي لك.

-لا أنتظر الشفقة، انا الذي يصنع من احب وانا الذي يصنع من يكره.. انا صانع الجميع بداخلي.

-ستقتلك الوحدة.

-لم تعد الوحدة مرعبة بالنسبة لي، لم بعد يخيفني الظلام؛ الموت أهون عليَّ من البقاء مع اشخاص لا يقدرون وجودي.

-فتختصر الطريق وتستسلم.؟!

-الاستسلام اخف قسوة من الخذلان.

بعد صمت طويل قال دكتور "عماد"

-الآن أصبحت شخصًا ناضجًا.

رد بسخرية:

-أنت لا تفهم، لم أتمنَ قط هذا النضج، تمنيت أن أبقى هذا الطفل الذي يخشى الوحدة، لا يطيق الخصام، لا يرحل عن أحد، ويتشبث حتى تقطع أنامله.. لقد أفسدوني بأفعالهم، لقد قتلوا آخر ما تبقى من صفاتي الجميلة الطفولية، لقد حطموني جميعًا. والآن يا دكتور تنتهي جلستنا لليوم؛ رُبما نلتقي غدًا وربما لا نلتقي! لكن حتمًا كل ما رويتهُ لك ما هو إلا طفيف مما أعانيه..

- لا أعلم الآن من المريض منا ومن الدكتور المعالج؟! في كل مرة أجلس معك بها أتعلم وأفهم الحياة بمنظور الألم.

- الألم الحقيقي لا يُحكى يا دكتور، يبقى بداخلنا، يقتل ويهشم كل جميل زُرع بقلوبنا.. لكنه لا يُحكى.. يبقى ممنوعًا! كما هو حال الدموع، أتعلم كون الدموع ممنوعة؟!

- لا.. رُبما لا تجد ما تَسقُط لأجله.. لا تجد ما يستحق السقوط الفاني!

- لا يا دكتور، الدموع لا تملك الكبرياء؛ لذلك، هي تُضحي بها لأجلك، تسقُط وهي تعلم تمامًا بأن لها سقوطًا واحدًا؛ ولكنها تأبى.. نعم تأبى السقوط، تبقى حبيسة الجفون كسجين يأبى الخروج من بين أسوار السجن العالية لعلمِه أن السجن الحقيقي هو بالخارج.. خارج تلك الأسوار، حتى تسير ممنوعة؛ هي ممنوعة، ولكنها تختار السقوط أيضًا.

- كيف تأبى السقوط وتسقط..؟!

ـ تأبى السقوط إلى العدم.. إلى الظاهر.. ظاهر الحياة الزائفة، ولكنها لا تأبى السقوط إلى الباطن.

- في حديثك الغموض كما هو حالك، فهلا تشرح لي كيف يكون..؟!

- السقوط الظاهري وهو ظهورها أمام العامة.. أمام من يَرونَ بأنها ضعف لذا تختار السقوط الباطن وهو سقوطها على القلب؛ وهو أشد أنواع الألم؛ فهي تختار طريقًا تعلمهُ جيدًا، تَنزل بين أوردتك الساكنة بالصدر فتُضيق عليها مسيرها فتَتلُف فتُصبح مريضًا بضيق الأوردة؛ تجد نفسك تَنزف لسبب وبدون سبب، تجد الدماء تنسال من كُل صوب؛ من أنفك، من فاهك، من كُلِ صوب! حتى تكره روحك العالقة بأهداب حياة لا نجاة فيها؛ ثُمَ تُتابع طريقها إلى أن تصل إلى مُستقرها ومُستودعها.. إلى أن تصل القلب؛ فتدخل عن طريق الأورطي إلى أن تصل تلك الخيوط المُسماة بالنياط فَتُهشم وتُهتك كل ما يعترض طريقها منها حتى تُصبح خاليَ النياط!

وتُكمل طريقها الذي تعلمهُ جيدًا إلى أن تصل مُنتصف القلب وهُنا تَستقر.

-ثم بعد أن تستقر..؟!

-تبدأ بالغليان إلى أن تصل إلى الانصهار القلبي فَتُذيب قلبك كما تُذيب الحُمم البُركانية الصخور؛ هُنا يتحجر قلبك ويصدأ.. يُصيبهُ الصدأ في مقتل، فيبدأ بالانتشار بين الأوعية والشرايين إلى أن تُصبح صَدأً.. بلا روح.. بلا حياة.. بلا أيُ شيء، تُصبح جُثة هامدة، رُغمَ بقائها صامدة على قدمين من ورق.

- أتعبني حديثكَ وكما قلتُ لك سابقًا حين جئت إلى هُنا، كنت تعلم وجهتك جيدًا.. لكني أخشى أن أكون على حق في أمرٍ واحد!

-وما ذاك؟!

- أن تُنهي حياتك بين جُدران غُرفة بالية؛ يُزينها الحُزن وتجتاحها الكآبة.. أخشى ذلك.

ظل الصمت يُخيم على الجميع حتى خرجت ضحكات متقطعة من "فارس" كأن أحباله الصوتية قد تهشمت تمامًا وألقى جملة أخيرة قبل أن يستلقى على سريره المهترئ.

-أنا أيضًا أخشى ذلك.

انتهت الجلسة التي أعلن عن انتهائها "فارس" ظل في سريره لأيام، امتنع عن الطعام، عن الجلسات، امتنع عن كل شيء؛ حتى أنه كان يرفض جلسات دكتور "عماد"

ظل يُفكر طوال الوقت:

-إن كنتُ سأنهي حياتي البائسة في ذاك المصح، لِمَ لا أُنهيها الآن؟! لِمَ الانتظار؟!

ظلت تلك الأفكار تُطارده لأسابيع لا تنفك عنه، تارة يأكل وأخرى لا! حتى صار بجسد هزيل وما تبقى منه إلا رمق يُبقيه على قيد الحياة.

بعد سنة من مكوثه بالمصح النفسي؛ بين أن يقبل بالحياة وبين أن يُنهيها بيده!

وُجِد منتحرًا بأهداب نجفة صدِئة وتاركًا رسالة انتحاره:

" دَعَوني بالمريض النفسي لأنني فقط أختلف عنهم، لأنني أفهم الحياة حَقًا.."

التقبل يولد الحب وعدمُه يعدمه، أتفْهم معنى أن يُعدم الحُب..؟!

"لكل داءٍ مصل، ومصلُ أي داء الحب "

بعد غياب طال لمدة شهر وخمسة أيام، اختفى عنها تمامًا، عن مواقع التواصل الاجتماعي!

اتصلت به..

_ ألو.. السلام عليكم.. أكم...

-عزيزتي، أكمل مصاب بالإنفلونزا وهو ماكث بغرفته منذ أيام وقرر ألا يأخذ هاتفه معه لتكون عزلة صادقة يعود بها إلى الله..

-كورونا.!؟

-ربما..

قالت بنبرة يعتليها الهلع:

-شفاه الله.. حسنًا حسنًا، هو بخير؟!

-لا يقبل الخروج من غرفته

-حسنًا، سلام

أقفلت الخط وظلت ثابتة بمكانها، تسبح بدوامات من الفكر اللامتناهي.

شهر وأربعة أيام غائب تمامًا عني!

كل تلك المدة لا يوجد بها إلا الوحدة، لا يوجد بها إلا ألم الانتظار..

كل تلك الفترة لا يرى أحد.!

أي إنفلونزا تلك!؟

أخذت نفسًا عميقًا ثم ارتدت ملابسها وأخذت معها مفكًا لفتح الباب، إن لزم الأمر!!

ثم طلبت من والدتها الإذن حتى تغادر، لكن منعتها بسبب الحجر الصحي الذي يخيم على المدينة، وحظر التجوال بها

-تعلمين يا أمي أني عالقة، أشعر باختناق شديد، عشرة دقائق فقط أخرج بها

وافقت والدتها، نزلت إلى الشارع بسرعة، استعارت دراجة أخيها لتذهب بها إليه، كان يبعد عنها شارعين

وصلت باب بيته، اتصلت على أمه

-أنا آتية لأراه..

-حبيبتي إنه مريض، ستنتقل العدوى لك!

-حسنًا، افتحي الباب لي أرجوكِ!

طرقت والدته باب غرفته

-أكمل عزيزي، كيف حالك؟

- بخير يا أمي

-كنت أريد أن أخبرك بشيء، سلمى أيضًا مريضة مثلك، ولكنها أتت لزيارتك، هل تفتح لها؟

- أمي، لو كانت ما استطاعت الخروج من بيتها ليست كذلك لا تدعيها تدخل.!

-أكمل، أنا سلمى افتح لي أرجوك!!

- يا الله ما أجمل صوتك!! كم اشتقت لك ولهذا الصوت الذي يسلب لُبي سلمى.. اشتقت..

وبكى!

وبكت أمه أيضًا، لكنها لم تحتمل الأمر، فذهبت إلى غرفتها وأغلقت الباب

-أكمل حبيبي افتح لي، بربك!

-لن أفعل، تعلمين أني أخاف أن تصابي بالعدوى، أخبريني عنكِ فقط ..

كانت نبرة البكاء جلية في صوتهما، كأن أحدهما يمسك بحنجرته ويضيق عليها

شعرت هي بذلك، بدأت دموعها تنسال في صمت حتى قالت:

-ستفتح، سأضمك، سنمرض معًا ونشفى معًا، لا حق لك في البكاء وحدك!

-سلمى هذا الموت يا حبيبتي لا مجال للمشاركة فيه، سأموت وحدي، أحرق وحدي، سأظل وحدي دائمًا، وستظلين أنتِ على بعد مني، لا أريد أن تصيبكِ لعنة ذاك المرض..

أخرجت المفك من حقيبتها وبدأت تفتح الباب من الخارج

-سلمى لا تفعلي ذلك، أرجوكِ..

-غبي..

أنت غبي، أقاطعك ألف عام وأنت معهم، ولا أعاتبك لحظة وأنت وحيد..

أخشى عليكِ المرض، أخشى عليكِ مني!

وبكى..

بدأت نبرات صوتها ترتفع ويرتفع معها صوت البكاء

-كيف؟؟ كيف يحدث هذا وتخفيه عني!

هان عليك الود أن تعاقبني بهذا الشكل!!

شهر وخمسة أيام وقلبي يترقبك في كل لحظة؛ لأرى أي حركة منك، قلبي انفطر خوفًا وقلقًا عليك..

وبعد كل هذا تريد أن تبقى هنا وحدك!!

جلس على الأرض وأردف قائلًا:

-كنت أعلم أنكِ ستمرضين، أنتِ فقط من يمكن لقلبي الوثوق بها حتى الممات

بكى فانهارت هي بكاءًا

-لا تبكِ، افتح لي الباب أرجوك

لن أقترب منك؛..... نتحدث من بعيد!.. افتح أرجوووك!

فتح الباب؛ فلما رأت وجهه عقد لسانها، غطت وجهها بكلتا يديها وانفجرت بالبكاء وهو يحاول منعها دون أن يقترب منها.

-أنا بخير.... بربك أنا بخير

مسحت دموعها وهي تكابر قائلة:

-غبي لا تهدىء من ورعي، لست خائفة عليك!

مسحت ما تبقى من آثار البكاء على وجهها وأكملت:

-أنا فقط أبكي لأنك لم ترد أن تشاركني مرضك!

رد مبتسمًا:

-أنا لك ما دمت قادرًا على أن أكون.

-أتعلم حين رأيتك، الآن فقط أدركت كم أكن من الحب لهذه الملامح. يا لله ما أقربك لقلبي!

تحشرجت دموعه وحبست بعينه.

-أما أنا فقط أدركت ذلك منذ أول لحظة رأيتك بها.

شيء عظيم سرقني وأجبرني على حبك،

ولكنني كنت أعي أسرار ذلك مع الوقت لم أرَ يومًا أحدًا رُسِمَ قلبه على وجهه كما هو أنت ولم أجد يومًا ملامح قلب صادقة كقلبك.

أخذت شهيقًا عاليًا وقالت.....:

-الآن دعنا من هذا جانبًا، ومن فكره أنني أكرهك وساقتلك.

ضحك وأكملت هي:

-سأؤجلها قليلًا حتى تتحسن.

-يا سلام. لا تريدين لأحد أن يشاركِ قتلي؟..

ضحكت قائلة:

-تمامًا يا غبي، ولا تقل لي بأنك صدقت فكرة حبيبي وحبيبتي تلك! هذه فقط لرغبتنا في عيش أدوار التايتنك ليس إلا.

ضحكا معًا فقال هو:

-مجنونة!

-هاتفك ستأخذه معك لتتحدث طوال الوقت، لن أتركك لحظة واحدة!

- لا يمكنني أرجوك! أريد أن أبقى وحدي

-لماذا؟؟!

-لا أريدك أن تتعلقي بي أكثر وقد أرحل في أي وقت. أرجوك!

قالت بغضب:

-وما شأنك أنت بذلك!؟

فقط دعني أكن معك.، أرجوك كن معي كي أكون ولا تلوي نبضي أكثر مما فعلت، دعني على الأقل أحاول.!

- تحاولين ماذا!؟

أخذت نفسًا عميقًا وتركته يخرج للهواء وقالت بغضب.:

-التأكد من قتلك لا أكثر.

ابتسم وأردف قائلًا:

-سلمى..... قوليها.!!

لم تفعلي ذلك وأنا أمامكِ من قبل.

أطالت النظر له وقالت!

-لم تحذر... سأقولها حين تتعافى.. اتفقنا!!؟

رد بحزن!؛

- لا بأس

-حسنًا حسنًا سأقولها.

سأقولها لأنني أريدك أن تتعافى بحبي؛ أريد لو نقول للعالم: ((إن لكل داء مصل، ومصل أي داء الحب))

أريدك أن تكون حبًا لي!

أرجووووك.....

أرجووووك أكمل

أنا..... أنا أحبك جدًاا، وجدًاا، وجدًاااااَ

ثم بكت..

– وأنا يكفيني من الدنيا أني رأيت منكِ ذلك..

والله ما يضرني من الآن شيئًا، الآن ما لقلبي حجة ليشتكي وحده، وقد ضمه قلب مثل قلبك.

وضمها إليه وكأن أحدهما لم يرَ الآخر منذ قروووون، وكأنه العناق الأخير.....

،،قلبي هنا، وكل دقاته هناك،،

"يوميات بائس"

تدور أحداث تلك القصة التي هي بمنزلة محادثة ليس إلا!

بين "حسين" الشاب المكتئب كما يُطلِق عليه أصدقاؤه وصديقه "محمد" على أحد الأرصفة بين زحمة السيارات والمارة؛ في إحدى ضواحي العاصمة القاهرة. حين شعر محمد بأن صديقه ليس على ما يرام.

_ ما بك يا صديقي؟!

_لا شيء، أنا فقط مثقل بعض الشيء.

_ تُفكر بها؟!

_ رحلت وانتهى الأمر، ما الجدوى من التفكير!

_ أين هي الآن؟!

_ قلتُ لك إنها رحلت.

_ لماذا؟!

_ كانت قوية جدًا.

_ وكنت ضعيفًا؟!

_ كنتُ خائفًا.

_ مِمَّ؟؟

_ من أن أكسرها، ولا تصلُح للحُب مرة أخرى..!

_ يوجد حل آخر.

_ ما هو؟!

_ أن تُظهر قوة لطفك.

_ فعلت.

_ وماذا حدث؟!

_ نجحت مرة، وفشلتُ في الأُخرى.

_ بعد ذلك..؟!

_ أريتُها لُطف قوتي.

_ كنت سعيدًا؟!

_ مع امرأة جميلة وقوية؟ نعم.

_ ماذا حدث؟!

_ الكثير من الغياب.

_ الغياب يقتل؟

_ لا.. الغياب يُهشم ولا يقتل، صدقني!

_ كيف كان الحُب؟!

_ سريعًا كـغمضة عين، وباقٍ كـأثر الجُرح.

_ ستنسى؟!

_ رُبما!

_ ستحب مرة أخرى؟

_ لا قلبَ لي، أخذتهُ معها..!

_ ما أجمل لحظة؟!

_ اللقاء الأول.

_ رأيتها؟!

_ وجعلتها عيني.

_ كيف؟!

_ أنت حر / أنتِ حرة.

_ بكيت لفراقها؟!

_ كنت أنزف دمًا.

_ لو عادت، ماذا تقول؟!

_ لا شيء.

_ لماذا؟!

_ لأننا لن نعود.

_ رُبما تفعلان.

_ أبدًا!

_ غدًا ليس الآن.

_ كيف يجتمع الدخان مع الدخان؟!

_ وإذا تذكرتها؟!

_ أكتب عنها.

_ لماذا الكتابة؟!

_ كانت تُحب كتابتي عنها.

_ اعتبرها أمامك، قل شيئًا.

_ أحُبك.

_ هي تعلم هذا، قل شيئًا آخر.

_ هي ستفهم.

_ تفهم ماذا؟! أنك تحبها؟!

_ أني أعتذر بحجم هذه الكلمة.

عزيزي القارئ /

تعمدتُ في ذاك الحوار ألا أكتب أي وصف للمشاعر من الطرفين، وتركتُ ذلك لك!

لك حق التخيل، ولك حق التعبير عما ستشعر به؛ لذا لن أضيع وقتك بكلام لا قيمة له؛ فقط دعني أخبرك بما قالت بعد الفراق.

****

_ إذًا يا صديقي، ماذا قالت بعد الفراق؟!

_ ما قالته يتردد بمسامعي إلى الآن يا صديقي.. إلى الآن صوتها العذب يدوي بين أُذنيّ!!

قالت:

_ ولكني رُغمَ الفُراق، أخافُ عليكَ من فتاة تقليدية تنام في الثامنة مساءًا، وأنا التي كنتُ أجلس في الرابعة صباحًا أتصفح صورك على شاشة هاتفي لأتأمل عينيك ولحيتك.

أخافُ أن تكون تلك التي سرقتك مني تُناديك بكل سذاجة باسم طفلكما الأول؛ بينما أنتَ من كنتَ طفلي الأول في رحم الحُب بعد اتحاد قلبينا.

أخاف عليك من امرأة تُبقي قدَميها على أرض الغُرفة عند قولك لها: "أحبك" وأنا التي كنتُ أهرع من غرفتي مسرعة لأن هواها لم يعد كافيًا؛ أنظر للكلمة وعينايَ تلمع وأغلِق هاتفي وأبدأ بالقفر كطفلة في الخامسة أهداها أحدهم لعبة.

أخافُ عليك..

ولكن يا ليت هذه الكاف حُذفت مرة واحدة، وخِفتَ ولو مرة واحدة "عليَّ"

كانت هذه آخر كلماتها يا صديقي، آخر ما خرج منها قبل أن تُسلب مني روحي.

_ ماذا عنك الآن؟!

_ كما ترى كجزع نخلٍ مُنقلع، تقتلني الوحدة، وتضعفني الغُربة، ويُهلكني الصمت، ويُدمي أعضائي النُضج، وتكسرني قوتي، ويُعذبني الانتظار.

-صف لي الوحدة؟

-أن تمتلك أخبارًا سعيدة أو حزينة، فلا تجد شخصًا واحدًا يشاركك بها.

-والغربة؟

-أن تكون بمنتصف الحشود، الأهل، الأصدقاء؛ وقلبك وعقلك في مكان آخر.

-الصمت؟

-أن تظهر صامتًا، رغم الضجيج الذي لا يهدأ في عقلك.

-النضج؟

-أن تختار ما يناسب عقلك رغمًا عن رغبة قلبك.

-القوة؟

-أن تظهر ثابتًا أمام العامة، وأنتَ كل ما بك يميل؛ في قلبك حطام عظيم.

-الأصعب من الانتظار؟

-فقدان الشغف تجاه كل الأشياء.

-الأصعب من الحزن؟

-الاعتياد عليه.

-صف لي الألم؟

-أن يتحول ما بك من الأمل إلى الألم.

-الأصعب من أن تكون انطوائيًا؟

-فشلك العظيم في أن تكون شخصًا اجتماعيًا.

_ قلبك يا صديقي.

_ ما به؟!

_ تعلق بها.

_ قلبي هُنا، وكل دقاتُه هناك.

_ صفها لي.

_ بين تفاصيل ملامحها يسكن الورد.

_ ألا تتذكر لها سوى كلمات الفُراق؟!

_ بالطبع لا، هي من أحبتني؛ رغم حزني، هي من أحبتني وأنقذتني، وهي من اقتلعت قلبي مني.

ـ أخبرني إذًا.

ـ كنتُ أخشى عليها مني، أخشى عليها الخراب الساكن بأعماقي لأعوام مضت وأخرى قادمة، ولكن رغم كل ما بين؛ أحبتني وروتني حتى سرت زهرة ندية يافعة الجمال. أتذكر جيدًا تلك الكلمات عند لقائنا الأول، عندما أخبرتني بأنها تُحبني، أتذكرها يا صديقي...

كان يخشى مصارحتها بحبه لها خوفًا عليها مِنهُ، خوفًا عليها من ألم ألمَّ به.

وهاتِ تفاصيل اللقاء:

ـ أحبكِ، وأخشى القُرب.

ـ لم يكن القُرب إلا دواءً.

ـ ليس أقوى من دائي، أخافُ عليكِ مني.

ـ أراك حزينًا.

ـ خُلِقَ الحُزن من أجلي.

ـ لِمَ تحزن؟!

ـ ولِمَ لا أحزن؟!

ـ لأني هُنا، هُنا من أجلك.

ـ وماذا عن الألم الذي استوطن قلبي؟!

ـ سأربت على قلبك وأمحو الحزن الذي يشوه صفوك.

ـ سترحلين مثلهم تمامًا.

_ أعدك بأنني لن أخذلك.

_ هم أيضًا وعدوني بالبقاء، والآن أنا وحدي أتحمل أنين صدري، ونزيف فؤادي.. وحدي أشتاق لذكريات جمعتني بهم.

_ لكن هذه أنا، لستُ مثلهم، لا أقوى على إيذائك، لا أتحمل هذا الحزن الذي يكبل أطراف سعادتك، لا أتحمل أن أراك حزينًا باكيًا وحيدًا، كل ما أريده أن أرى السكينة تحتل ذلك الجزء المُضجر بداخلك، فقط أريد تسكين آلامك التي أرهقتك؛ بدواء الحُب.

_ الحبُ خُدعة.

_ وأنا لستُ خُدعة، ومشاعري ليست مُزيفة؛ فقط إقترب مني وتأنس بجرعات العشق التي سأبُثُ قلبك بها، إقترب وأُقسم لك بأنني لن أخذُلك، لن أكون يومًا سببًا في ألمك، لن أقبل أن أترُكك وحيدًا بمُنتصف الطريق تُكمل الطريق وحدك؛ سأكون موطنك ومأواك الذي تلجأ إليه، عندما تغطيك غيمات سوداء تُضل وجهتك، سأكونُ سندًا لك في لحظات انكسارك، فقط اسمع لي، أنا "أحبك".

_ وإن تأذيتُ من حُبكِ؟!

_ فراقك سيكون أكبر عقاب لي.

_ لكني مُنطفئ.

_ أفضل عتمتك عن توهج غيرك.

_ ليس لدي الكثير.

_ وجودك يكفيني.

_ مُنكسر، وأخافُ أن أجرحك بحُطامي.

_ سأُصلح انكسارك أولًا.

_ احتضنيني؛ هيا نُمارس انفعالات أعشقُها، لنتراقص تحت ألحان قطرات المطر، لنذهب لعالم يخلو من كل شيء سوى أحاديثك وسواكِ، ضحكاتك، بهجتك، رائحتك، فقط أنتِ.

_ أحبك يا صغيري.

_ أعشقكِ يا حوريتي.

أين هي الآن يا صديقي؟! أين التي أقسمت بالبقاء؟! أنا الآن وحدي كما كنت! أنا الذي كنت أجابه الوحدة والألم وحدي، أنا الذي كنت أسكن الظلام وساكنٌ هو بي! جاءت هي وأنارت تلك العتمة، جاءت هي وسلبت مني وحدتي، جاءت هي وأعطتني كل شيء، وأخذت مني كل شيء أيضًا!

_ رغمَ كل ما بك، ظللت صامتًا لا تتحدث، حتى أن الضحكات لا تُفارق وجهك، من أين أتيتَ بكل هذه القوة وأنت الذي كل ما بك يميل؟!

_ يا صديقي، إنها واحدة من أقسى نوبات الحزن، أن تكون صامتًا بلا حراك، بلا أن تُظهر كسرك؛ أن تكون في خصامٍ طويل مع نفسك، وكأنك غريب عنها، غريب جدًا عن نفسك.

-ماذا لو كان بعد هذا الغياب لقاء؟! هل يمكن أن تراها؟!

-فراقنا هو الحدث الأسوأ في حياتي، الذكرى الأتعَس التي ستبقى _وللأبد_ تؤلمني مهما عشت لحظات سعادة وحب، الحِداد الأول والأبدي والحزن الكبير الذي عاشه قلبي وللأبد، الحب ليس سببًا كافيًا للبقاء، كعادتي سأحاول تجاوزها، نسيانها واعتبارها فتاة لم تكن يومًا في حياتي، لكن ومهما ظهرت بهذا الثبات لا تُصدّقني؛ انا اكذب. ما زال قلبي بين يديها، وما زلتُ احبها رغم أنها أصابتني بلعنة الفُراق، لا أعلم الي الان كيف لي أن لا أري لها سوي الحُب!! وهي التي خذلتني وقتلتني بفُراقها لي.

-هل كان عليك أن تبقي حين وجب الرحيل؟!

-بل كان يجب عليَّ الرحيل من المرة الأولى التي قالت لي فيها:" إذهب" لكن كنت أري " إذهب" بمفهوم أخر.. كنت اراها إياكَ أن ترحل.. إياكَ أن تستمع لي، فلساني يقول شئ وقلبي يُريد خِلافه.كنت غبيًا..؟! أم أعماني حبها؟!

-ستأتيك الحافلة بعد أن تقرر تغيير وجهتك، سيأتيك الثوب الذي لطالما تمنيته بعد أن يصير جسدك غير ملائم له، سيأتيك الدفء بعد أن يُعشش الصقيع داخلك، سيأتيك اليقين بعد أن ينهش اليأس خلاياك، والأمل بعد أن تنغمس في الخيبات مرة تلو الأخرى..سيأتيك الرفيق الجيد بعد أن يعلمك الخذلان المتكرر أن لا تثق بأحد، وستأتيك المحبة بعد أن تزهدها..

كل شيء يأتي متأخرًا، كل شيء يأتي بعد أن يصبح لا حاجة لنا به! يا صديقي إن أتاكَ منادٍ ينادي بأن الحُب قد فاتك صدقه، إن جائك يقول لكَ تخلي قبل أن تتخلي صدقه.. يا صديقي ما كان لمثلك أن يُفطر قلبه، ولكن إعذرني آن كنت اقولها لك بعد قسوة حديثي، لكنك تستحق أن تحي بالحُب الذي يمنحك الحياة، لا الحب الذي يسلبك إياها.

-صدقت، لكنها القلوب إن أحبت عُميت.

-تعلقت، فأخلصت، فتألمت يا صديقي.

- ما زلت أحن إلى الذي آذاني وشتت سكينتي. يتشقق فؤادي من الحنين، نعم. لكني لا أعود للنار وإن أعماني وهجها.

أمسك دفتره، قلب الصفحة، وكتب بخط متعرج يتخلله الألم:

"عزيزتي الراحلة /

أمّا بعد:

فلم يعد لكِ شيءٌ في داخلي .. أصبح فؤادي فارغًا منكِ معرضًا عنكِ، وصار كل شعورٍ حملته لكِ هشيمًا تذروهُ الرّياح لَكَم بلغتُ إليكِ من الفقر عتيًّا ولكنكِ لم تأبهي .. فسلامٌ عليكِ لا أبتغيكِ بعد اليوم "

هذا كان أخر ما دونه " حسين " في دفتر يومياته،من اليوم الحادي عشر بعد الألفين وسبعة عشر. و إلى هُنا تنتهي رحلتك عزيزي القارئ؛ أتمنى أن أعرف ما سيحدث بعد ذلك، لكن قصتي يجب أن تنتهي عند نقطة ما، لهذا أترك الباقي لخيالك وللحظ!

ارحل..

فقد اعتدتُ أن يرحل عني كل من أحببتهم، وأنا أحبك..!

"الحُب وحدهُ لا يكفي"

فابتعدت قائلة:

"أنا أقف بين دربين!! إما أن أكمل معك وأربط عُصابة على عيني حتى أخسر كل رصيد حبك في قلبي وأُعاني الندم!!

وإما أن أسير وحدي جسدًا وأحمل ما تبقى من حُب لك في قلبي لأُجابه بك الأيام؛ فتكون ملجئي.. بالحالتين سأُعاني..."

****

أرسل لها أكثر من رسالة، واتصل بها أكثر من مرة، لكنها لم تُجب! بدأت الأفكار تتلاعب برأسه وتتناوب عليه واحدة تلو الأُخرى؛ لا يستطيع أن يطمئن عليها من أحدٍ غيرها! كانا قد اتفقا مُنذ بداية العلاقة ألا يكون بينهما وسطاء مهما تعقدت الأمور؛ وقد مضى على هذا الحال ثلاث سنوات من الحُب، وسنة خطوبة لا وسطاء بينهما! لا أحد يعلم بما يدور بحياتهما!!

فهو الآن بين أمرين؟!

إما أن يطمئن عليها من أحد أصدقائها، وإما أن يختار الانتظار الذي يقتلهُ ببطء شديد!!

أمضى ما يُقارب الأسبوع على هذا الحال حتى غلبته الظنون؛ فاضطر أن يتصل بوالدتها ليطمئن عليها:

"مالك" شاب طموح مُكافح، في السابعة والعشرين من عُمره، تجتمع به صفات الشاب الشرقي الوسيم؛ ذو عينين يغلب عليهما البُني الداكن، ولحية مُنمقة تُزين مُنتصف وجهه؛ لا بالطويل المُتعالي، ولا بالقصير المُتدنيٍ يعمل مُهندسًا بإحدى دول الخليج، تعرف على "سرمد" من أربع سنوات في الجامعة، لكنه تخرج قبلها بعامين، واستغل تفوقه الدراسي وانتقل للعمل في إحدى الشركات الكبيرة!! لكن حاله مثل أي شاب عربي كل طموحه _الهجرة_ أن ينتقل إلى إحدى البلدان ويُفني عمره بها مُغتربًا فقط لجني المال!!

****

كانت "سرمد" تصغره بعامين، تدرس بنفس الجامعة التي يدرس بها، بل إنها بنفس الكلية أيضًا _الهندسة_ ذات وجه ملائكي خالٍ من مساحيق التجميل التي تستعملها مُعظم الفتيات هذه الأيام، تمتلك عينين واسعتين وابتسامة تخطف الألباب في حين رؤيتها. كانت كنجمة أُطلق عليها اسمها _نجمة سرميدة _ لا تسقط!! إلى أن وقعت في حُب "مالك" فاختارت

السقوط على أن تبقى حبيسة لسنوات بين أربعة جُدران! لا شيء بها غير أنها تُلفت الأنظار.

_ السلام عليكم، كيف الحال يا خالتي..؟!

_ أهلًا بني، بخير وأنت؟!

_ الحمد لله

كُنت أريد منكِ أن تقولي لـ "سرمد" أني أريدها لأمر مهم.. اتصلتُ بها كثيرًا ولكن ربما لم تنتبه!!

_ نعم، دقيقة.

سرمد، يا سرمد، انتبهي للهاتف "مالك" يسأل عنكِ.

أجابت سرمد قائلة:

_ حسنًا، سأجيب.

عادت الأم إلى حديثها مع مالك وتابعت قائلة:

_ ستتصل بك الآن.

_ حسنًا، شكرًا جزيلًا.

انتظرها فلم تتصل، أرسل لها الكثير من الرسائل، واتصل كثيرًا، لكن عبثًا يحاول!

حادث عائلته إن كانوا قد أزعجوها، حادث صديقاتها، إن كانوا يعلمون أي شيء عن سبب خصامها له، لكن الإجابة كانت واحدة: "لا شيء"

انتظر حتى آخر الشهر واستقلّ الطائرة وعاد إلى البلاد لينظُر في أمرها، زارها وقت الظهيرة فأخبرته أمها أنها في الجامعة، تظاهر بأنه كان ينوي مفاجأتها، فطلب من والدتها أن تعلم مكانها بالتحديد، وأن تتظاهر بأنها ستلتقيها في حديقة الجامعة بعد ساعة من الآن، وذهب إلى هناك.

كان وجهها مصفرًا، عيناها مرهقتين، وملامحها ذابلة بشكل لا يُطاق! بينما كانت تخطو نحوه، كان قلبه يدب على وقعها، جلست فاقترب ووقف أمامها؛ رفعت نظرها نحوه ثم وقفت قائلة:

_ مالك!!

نظر لها وشوقه يُثقل لسانه وعِتابه يُضني قلبه:

_ ماذا فعلت؟!

تنهدت ثم قالت:

_ ليس هُنا، دعنا نسير.

خيم صمت ثقيل بينهما حتى تجاوزا المكان، فقالت وهي ترفع يدها بلا دبلة:

_ لقد أخذتُ قراري، جيد أنك لن تدعني أنتظر أكثر.

_ آاااه، أخذتِ قرارك؟!

جيد، هل لي أن أعلم الأسباب؟! أم أن هذا أيضًا لا يحق لي معرفته؟!

أجابته وهي واضعة رأسها إلى الأرض:

_ لا أسباب.

ثم نظرت له بعمق وأردفت:

_ أنا فتاة سيئة، كنت أكذب، كنت أمثل أني أحبك؛ أو ربما كنت أراك جميلًا قبل أن نُخطب وحيث ضمنتك زهدت بك.

أو...

أتدري لِمَ كل هذه الأعذار؟!

أنا فتاة خائنة؛ لقد تعرفت على رجل آخر في غيابك؛ لذا تغيرت معك وما عدت تُلائمني.

أيكفيك هذا، أم تريد أن أضيف لك؟!

كان ينظر لها بصمت، بينما كان وجهها يقول شيئًا آخر، كان يروي قصة، خيبة، وجعًا، أرقًا، بكاءًا، وتعبًا!

_ ولأن فارقتيني والله ما خلعتُ ما وضعته يدكِ بيدي، ولا ذكرتك بيني وبين نفسي إلا وكان حبكِ وعطفكِ يُدثر قلبي.

لكن أتعلمين يا "سرمد":

حين لم تردي على رسائلي في الأيام الأولى، كان الغضب يملؤني، أنظر للهاتف كل لحظة، مقسمًا أني لن أرد عليك بقدر الوقت الذي تركتني أنتظره!

هه، لكن بعد يومين، ذاب الغضب، وبت أسأل نفسي عما فعلته قبيل ذلك!

راجعت كل شيء، المحادثات، المكالمات، الوعود!

تذكرت كل شيء، منذ تلك اللحظة التي عرفتك بها حين كنتِ في عامكِ الجامعي الثالث، وحتى هذه اللحظة!

لم أتوقف عن التفكير بك وبتفاصيلك لحظة واحدة!

لمت نفسي على الكثير، وبدأت أجلد ذاتي على كل لحظة كنت فيها معكِ ونظرت فيها لكِ على أنك شيء عادي..

على كل لحظة كنت أجادلكِ فيها أو أتعمد إزعاجكِ وممارسة فنون الحب عليكِ..

لقد لوى غيابكِ ذا ذراع قلبي، وأجثاني أمام حبكِ..

لكني..

نظر لها فأبعدت نظرها عنه:

لكني أوفيت!

فعلت كل ما استطعت فعله لتكوني لي!

حاربت عائلتي وعائلتكِ!

ولم أخذل قلبكِ لحظة!

سقطت دمعة هاربة منه، فمسحها بلا أن تراها وأكمل حديثه:

كلما كنت أفكر في خيار التخلي عنكِ، كان هاجس أن أذركِ وحدكِ أمام صديقاتكِ اللواتي كنت تتغنين بحبي لكِ أمامهن، كانت الرعشة تغزوني، فألغِ الفكرة من رأسي، وكل ما كان في خاطري أن تري أني لم أتخلَّ!

وأن يعلم الجميع أنكِ فتاة لا تُترك!

هه، لذا لا يهم اليوم إن كنتِ ستفعلين ذلك!

أنزل بصره ليدها وقال:

_ فأنا..

لستُ أنتِ

أنا عادي جدًا.. أُترَك..

نظرت له، فبكت!

تتابعت دموعها واحدة تلو الأخرى، بلا صوت..

لم يستطع أن يرفع نظره لها، إذ كانت الدموع تملؤ عينه، ابتسم ابتسامة خفيفة وحيّاها بيده قائلًا:

_ السلام عليكِ..

تسَّحب بخطوات ثقيلة، بينما أغمضت عينيها ووضعت يدها على رأسها، لتتمالك نفسها، توقف، وعاد لها قائلًا:

_ هل لي بطلب واحد..؟!

كانت عيناها متجمرة، وأطراف فمها ترتجف؛ لم تجب..

فقال ونبضه مختنق بحنجرته:

_ قد لا أجرؤ فيمَ بعد حتى على طلبه!

نزلت دموعه أمامها فقال:

_ أن.. أن أضمكِ!

تلعثمت بدموعها، فاقترب وضمها..

انفجرت بكاءًا، اعتصرت كل دموع أيامها، وذرفتها على كتفه..

لم يستطع أن يذهب، وقد رآها بلا أن يسد ظمأ روحه لعناقها، لم يكن عناق حب وشوق فقط، لعله كان عناق اعتذار على ما لا يدركه من حزن في قلبها تخفيه، وعتاب نهش روحها ليذرها في آخر الطريق نادمة على قربه!

لعله كان عناق اعتذار عن لحظات احتاجته بها ولم تستطع إخباره لانشغاله عنها، عن ليالٍ كانت تغلق المحادثة وتنام باكية لكلمة قالها ولم تبُح بذلك!

اعتذار لأنها أحبته، وأوجعها وإن لم يكن قاصدًا!

بعد أن هدأت، ابتعدت عنه، نظرت إليه وقالت:

_ لن أستطيع قول أي شيء!

لن أستطيع كسر ذكرياتنا بإخبارك حقيقة مواجعي معك..

لن أستطيع أن أبرر موقفي فأضع ثقل الذنب عليك وأنت وحدك دوني!

لكن صدقني، هذا القرار الأفضل لي ولك..

لقد فكرت بالأمر طويلًا، لربما كنا نناسب بعضنا في الوقت الذي مضى، لكنك لا تعرف "سرمد" التي أنا عليها اليوم!

تنهد بعد أن ابتلع مرارة ما بحلقه قائلًا:

_ لا رغبة لي بتغيير قرارك..

ولن أثير تعاطفكِ للعودة!

وجهكِ يقول كل شيء!

فقط أريدكِ أن تعرفي أني_والذي نفسي بيده_، أحبكِ أكثر من أي شيء على هذه الأرض، وأني سأفعل ما أردته بلا عتب، حتى وإن كان ذلك، رحيلك!

أنا.. لا أستحقك..

ابتسم لها وأردف قائلًا:

_ لكن بشرط واحد..!

حين أعود وأراقبك من بعيد: أريد أن أرى وجهك ضحوكًا..

تحرري مني لتتوهجي مجددًا..

أخذت نفسًا عميقًا تلعثمت فيه أنفاسها:

_ لن أفعل شيئًا، أنا لن أكون بخير دونك..

أنا أعلم أني قطعًا لن أحب بعدك!

وأعلم أيضًا أني لا أريد الحب..

أنا لا أريد شيئًا..

أتعرف..

سأخبرك بسبب واحد، يكفيك لتفهم حاجتي الحقيقية للابتعاد عنك، فلا تأكلك الظنون بأنك لست مناسبًا.. وأني ما عدت أحبك.. وأني كنت أستغل وجودك وحين رحلت أدخلت غيرك لحياتي!

السبب يا "مالك"

أني مخلصة.. مخلصة جدًا لمَ استأمنتني عليه داخلك، لأنني لا أستطيع أن أواجهك بضعفك!

لأني لا أستطيع أن أخبرك بكل شيء على حقيقته خشية كسرك!

وثمن هذا الإخلاص باهظ..

باهظ جدًا يا مالك

ثمنه الندم!

سأسير معك وأتحمل وأحمل وأصمت، ستقارنني بتلك وتلك ولن أستطيع مقارنتك!

ستطلب مني الجمال والاهتمام والحب لكي أظل متوهجة بعينك وسأقبل بقليلك كي لا أشعرك بأي شيء لحبي الكبير لك..

سأتحمل كلام والدتك وأختك وأقف أمامهن في كل تدخل لهن بحياتنا وستقف أنت في صفهن ولن أجرؤ على عتابك، لأنها أمك!

ولأني زوجتك التي تقول لك أمك عنها كل يوم طلقها وأزوجك صباح الغد بستها!

سأتغاضى عن كلماتك التي تبعثرني، وصراخك في وجهي، وإهمالك لي مقابل أن أظل على ذمتك!

سيهشمني الندم لأنك اختياري أنا ولأني من أردتك وحاربت لتكون لي!

بينما تنتفخ فخرًا بأن تقول لكل عابر لقد كانت متيمة بي!

أنا آسفة..

آسفة بحق، لأني أدركت ذلك قبل أوانه!

لكن..

أتعلم؟!

لقد أمضيت حياتي هنا في بيتي أحارب من أجل كل شيء!

كل شيء!

دراستي، خصوصيتي، كرامتي، حقي..

وحتى حبي لك..

لكن كل ما حاربت لأجله كان يزيدني فخرًا..

أما أنت..؟!

فلم يزدني حضورك إلا قلقًا وخوفًا وأرقًا

لقد تغيرت مئة درجة في عام واحد من الخطبة!

لقد كنت آتيك باكية من سخرية إحداهن فتحملني للسماء لأرى نفسي بطريقة لا يراني بها أحد..

لقد كنت أشتكي لك خوفي وقلقي، فتوسع نبضي حبًا واحتواءًا فلا يظل مم كان في نفسي شيئًا..

لقد كنت بيني وبين كل شيء حاجزًا ورادعًا..

لقد كنت خير عوض لي عن أبي الذي لم أره يومًا..

ثم تبدلت!

تضحك مع أمك على حين تعايرني بحبي لك..

تسفه من كلماتها التي تفتتني؛ لأنها أمك، ولا يمكنك أن تقف بوجهها لأجلي..

ترضخ لكل ما تريده عائلتك بحجة أنك بارّ لهم..

وأنا لا أريدك إلا كذلك!

لكني متعبة..

"سرمد" التي تراها اليوم

متعبة؛ اختارتك وحاربت لأجلك لأنك استطعت حملها سابقًا!

وها هو الندم يفعل بي فعلته

لست سيئًا، ولستُ كذلك..

لكنني لست سرمد القوية!

لا أريى أن أحارب أكثر

أريد أن أهدأ

أن أطمئن..

ألا أخاف..

أحبك وحدك..

لكني حين رأيتك جزءًا من فسيفساء عائلتك، ثم فسيفساء المجتمع

وجدتك مثلهم جميعًا..

لذلك سأتخلى..

صدقني، أنا أتخلى اليوم لأحتفظ بجمالك داخلي..

أنت الشيء الوحيد الذي أحبه

ولا رغبة لي بالمجازفة فيك..

أريد أن أحيا وفي قلبي وقود أشعله كلما شعرت ببرودة العجز والحزن أنني لست سيئة لست بلا قيمة..

فأقول في سري مالك قال ذلك وهذا يكفي!

تنهدت ثم مسحت دموعها، أمسكت يده وقبلتها، ثم وضعت يدها الأخرى على وجهه وقالت:

_ أنت لم تخذلني.. قط

فكما قلت قد فعلت كل ما يجعل أي رجل عظيم جدًا بعين امرأته..

لكنها رؤياي.. وإدراكي الذي لا أستطيع تجاهله!

يبدو أن طفولتي أيضًا لن تجعلني أحب كما تحب بقية النساء، أنا القاسية هذه المرة!

لكن صدقني لقد كويت كل ذرات شعوري ورغبتي وحاجتي لقربك، فقط لأجل الحفاظ على هذا الحب الجميل الذي غمرتني به سابقًا!

ضمته، فقال هامسًا:

_ أنا لا أشعر بشيء الآن!

لا يمكنني حتى البكاء!

غصَّ قائلًا:

_ لا أريدكِ أن تبتعدي عني، ولكني لا أقدر على منعكِ حتى بالوعود!

يبدو أن الحب وحده لا يكفي

فابتعدت قائلة:

_ أنا أقف الآن أمام دربين

إما أن أكمل معك وأربط عصابة على عيني حتى أخسر كل رصيد حبك في قلبي وأعاني الندم!

وإما أن أسير وحدي جسدًا وأحمل ما تبقى من حب لك في قلبي لأجابه بك الأيام، فتكون ملجئي..

بالحالتين سأعاني

لكن حتمًا أن أتجرع علقم فراقك خيرًا من أتجرعه على يديك!

أرجوك..

اعذرني بيتمي..

وسامحني، فلا يمكنني التنازل عن حبك ولا حتى لأجلك أنت! وغادرت.

ذهبت وتركت لهُ ألمًا، تركت لهُ رسالة مفادُها:

" الحُب وحدهُ لا يكفي "

في نهاية الأمر، وبعد أن تبذل كل طاقتك، وتستهلك قلبك ومشاعرك؛ سيُقال لك:

"أنت رائع بطريقة لا تُناسبنا ويرحلون عنك"

"الهروب"

"كتبتُ لكَ رسالة طويلة ثم تذكرتُ أنكَ لا تُحب الرسائل الطويلة، فحذفتُ نصفها، ثم تذكرتُ أنكَ لا تُحب القراءة، فحذفتُ معظمها؛ حتى كتبتُ لكَ كلمة واحدة! ثم تذكرتُ أنك لا تُحبني، فحذفتها"

****

كان ذلك آخر ما كتبتهُ "حور" في دفتر مُذكراتها إلى حبيبها "إياد" الغائب الحاضر بقلبها مُنذُ ثلاث سنوات.

كانت تجمعهم علاقة حُب راسخة، حُب لا يُمحيه الزمن ولا تقف الظروف عائقًا أمامُه.. أو كما يُقال لا يقف في وجههِ فاقة! ولكن المؤلم في الأمر أننا نقول (كانت) وهي جُملة تُعبر عن الماضي أي أن ما تحياهُ الآن عكس ما جُبل في أذهانك عزيزي القارئ!!

****

"حور" فتاة في مُنتصف العقد الثاني من العُمر؛ مرحة.. جميلة.. ذات عينين ساحرتين.. وشعر منسدل يرفرف في الهواء كما لو أنهُ طير محبوس مُنذُ زمن سحيق وأُطلِقَ صراحه.

لا تملك الكثير من الأصدقاء، وليست مقربة لإحداهن! اللهم إلا صديقة واحدة "ميار" دفعت بها الحياة لها كتعويض عما رأته من مرارة الخذلان، وألم الفُراق!!

تملكت منها الأفكار الخبيثة، وأذابت التناقضات عقلها كما تُذيب النار الفضة؛ تلك التناقضات جعلت منها فتاة قاسية، لكن عندما تشعر بالقسوة، تحزن وترفض التعامل معها بهذه القسوة، تَغار لكن تشعر بالضيق إن غار أحدهم عليها، اجتماعية جدًا، لكنها تشعر بالوحدة دائمًا، رقيقة للحد الذي يجعلك تظن أنها لا تتحمل أي ضغط، لكن عندما تقرر مواجهة الحياة؛ تتحول لفتاة مسؤولة ناضجة من الدرجة الأولى، غاضبة لكن يمكن امتصاص غضبها بكلمات رقيقة دافئة، أكثر الناس حكمة، لكن عندما يصل الأمر للحب، تتصرف بطفولية، لا تندهش إن وجدتها تحدثك عن الفلسفة في الوقت الذي تجد مجلة ميكي على رفوف مكتبتها، تحب الأوبرا والموسيقى الكلاسيكية، لكن تنفعل وتتمايل مع الأغاني والموسيقى الشعبية، أحد أهم مميزاتها أنها تستطيع حل أغلب مشاكل صديقاتها وأزماتهن، لكن عندما يتعلق الأمر بها، تقف عاجزة حتى عن اتخاذ قرار واحد في حياتها، لا تحب الكتابات الحزينة ومع ذلك لا تقرأ إلا لكل الذين يكتبون عن الحزن والأسى كما لو أنها تعاند في ميولها الفكرية، قد تقتنع بطرحك لفكرة ما تغير مسار حياتها، لكن لن توافقك عليها لأن طريقتك

أشبه بالأوامر وهي ترفض الأوامر حتى لو لمصلحتها الشخصية، لا تتحدث كثيرًا عن الضعف.. عن الوجع، تستطيع تحمل وتقبل الخذلان والصدمات حتى تظن أن قلبها أقوى من أن يتحطم، لكن ولشدة ما تحمله ولصمودها، عندما تنهار تصرخ وتبكي بلا رحمة، هي المزاجية التي لا تحب التعامل مع المزاجيين، الناقدة التي لا تقبل النقد، الغاضبة التي ترفض غضب أحد عليها، هي التناقضات الطبيعية لفتاة ممزقة بين طفولة قلبها وشيخوخة عقلها.

ـ "مر وقت طويل لم نلتقِ فيه يا "ميار" هلا نلتقي اليوم؟! أشعر بأن قلبي يتآكل.. تقف الكلمات بين عقلي وقلبي، بينما أنا في المُنتصف أهلك ببطء شديد!

أحتاج إلى قضاء بعض الوقت معكِ، أشعر بحاجتي إلى إخراج تلك الصراعات التي تدور بعقلي.. وإخراج بقايا الخراب الذي تسبب لي فيه "إياد"

أراكِ في نفس المكان الذي نلتقي به دائمًا يا صديقتي.. سأكون في انتظارك بعد ساعة من الآن"

كتبت رسالتها إلى صديقتها "ميار" وأرسلتها لها على الفور.. فتحت خزانتها، اختارت فستانها ذا اللون المُفضل لها "البنفسج" مُطرز من الأطراف بورود بيضاء تميل إلى الأصفر قليلًا أو ما يقال عنه (كشمير) ورابطة على هيئة (فيونكة) تُزين خصرها.. وحذاء من نفس لون الفستان يُزينه وردة في مقدمته.. وانطلقت لملاقاة "ميار"

على إحدى شواطئ الإسكندرية بين تلك الصخور التي تتشكل على هيئة مربعات كان يجلس الصديقتان "حور" و"ميار" كما عهدا لقاءهما الدائم في ذاك المكان فيما مضى!

_ كيف مضى كل ذاك الوقت ولم نلتقِ خلاله؟!

ألهتنا الدُنيا يا صديقتي، فلم يَعُد لنا لقاء..

قالتها ميار وأعقبتها بتنهيدة طويلة تُعبر عن حُزنها لعدم رؤيتها حور منذ فترة.

_ لا بأس عليكِ، ها نحن نلتقي.

_ أرى بعينيكِ الحزن يا حور؛ عيناكِ تحكي الكثير... دعينا لا نضيع الوقت ولتخبريني ما حل بكِ..؟!

_ حسنًا، أخبرك بكل شيء..

أنا يا صديقتي يؤلمني قلبي كثيرًا، في كل ليلة أخوض حروبًا فكرية طويلة أكون على وشك الانتصار بها، ولكني كما هو حالي كل يوم... أعودُ خاسرة!

تلك المعارك الطاحنة أكون بها الحربُ والسلم، القاتل والمقتول.. أنا قاتلة نفسي يا ميار.

_ لم أفهم بعد، كيف تكونين قاتلة لنفسكِ..؟!

_ أؤذي نفسي كثيرًا، ذبلت عيناي وتألم قلبي، حتى أن شعري بدأ يتساقط من فرط ما أنا به من ألم.

وكل هذه الصراعات يا صديقتي تنبُع من شيءٍ واحد.. شخص واحد فقط!!

منذُ فراقنا أنا و "إياد" والذي دام عامين كاملين وأنا قلبي يتألم ويتفجع لغيابه؛ لا أعلم إن كنتُ مخطئة في حبي له من البداية؟! أم هو القدر!!

ولكن ما أعلمه يقينًا أني وقعتُ فريسة هوى لن أبرأ منه حتى أبلغ!!.. أبلغ مجامع الألم الذي جعل من روحي فارغة.. جعلني صامتة، رُغمَ أن كل ما بي يشتكي.

أنا يا صديقتي أريد أن أتخلص من تلك اللعنة.. وأقتلع ذاك الإياد من قلبي.

_ حسنًا، فلتهدئي قليلًا؛ وأخبريني بكل ما حدث.. أريد أن أعرف القصة كاملة.. أريد أن أعرف لِمَ افترقتما؟! ولتعلمي يا صديقتي أنه لا داء للآلام سوى البوح!

الأوجاع التي في القلب يمكن أن تتعافى بالبوح..

-القصة كاملة؟!

حسنًا أخبرك: منذ اليوم الاول لفراقنا وانا بكل ليله يذبحني الفراق، يدمي قلبي الاشتياق لشخص منحت له كل شئ..منحته قلبي فما كان به الا أن يدوس حبي له في التراب. أرسلت له الكثير من الرسائل لكنه لم يجيب، تحدثت مع اصدقائه لكي أراه، اصلي وادعوا الله من اجل ان يعود كل شئ كما كان، وان يعود هو لي.أستيقظ كل صباح أطلبه علي الهاتف وانا في أمس الحاجه لسماع صوته متجاهلة تمامًا أننا إفترقنا بالفعل! كان يومي ينقصه الشغف وينقصه (إياد). وحين ياتي الليل.. كانت تاتي معه

الذكريات علي هيئه طيف، كنتُ أراهُ يلوح في سماء غرفتي فانهض فزعه عن سريري أُلَاحق الوهم. كان يأتي الليل ومعه الآهات .. تلك الآهات التي تشق سكون الليل.. وتعبُر الجُدران.. وتوقظ الرضيع.. وتُفجع الكبير والصغير.. واناااا..... انا هنا وحدي علي حافه الانتظار.

وبعد مرور عدة أشهر علي فراقنا.، كنت اتابعه في الخفاء،اتصفح صفحته الشخصيه علي الفيس بوك،أتحدث مع صديقه المقرب لافهم منه اسباب غيابه المفاجئ، حتي انني لم احذف الصور التي تحتفظ بذكرياتنا؛ كنت اشتاق لرؤيته ولسماع صوته، اخلق الاحاديث بيني وبينه من فرط اشتياقي حتي يأتي الليل بظلامه من جديد محملاً بخيبه جديده من اليأس والبكاء علي الاطلال. كنت علي استعداد ان اتخلي عن قسوه غيابه فقط في سبيل عودته إلى... اقسم لو انه جائني معتذرا عن غيابه الذي طال لسامحته..لكنه لم يفعل وتركني انتظر.

وبعد مرور العام الاول علي فراقنا، ذهبت الي المكان الذي التقينا فيه للمره الاولي. جلست في مواجهه البحر واخبرته بالاوجاع التي سببها لي (اياد) قلت له :

-تركني وحدي. تركني بدون أسباب واضحة.

فجائني ردُ البحر على الفور..البحرالحامل كل أسرار المتألمين :

-لا تدعي له ذكري، إحرقيها جميعًا، وإحرقيهِ معها.

فامسكت هاتفي، حذفت كل الصور التي جمعتني به، حذفت محادثاتي مع اصدقائه، وقطعت علاقتي مع كل من له علاقه به، وبدلا من ان اصلي

حتي نعود كما كنا بدأت اصلي من أجل النسيان.لم أعد أشتاق اليه، لم يعد طيفه يزورني كل مساء؛وان أتي يبدو مشوشًا، مشوه الملامح.

كلما رأيتُ شخصًا يشبهه قلت في نفسي (يخلق من الشبه أربعين).ولكن كنت ايضا علي شاطئ الانتظار فلم استطع ان اتخلص من بقايا جذوره العالقه بقلبي.

وحين مُناجاتي لأمواج البحر الصارخة؛ أتاني صوتُ مُنقذ الحياري ومُغرق الذكريات – البحر – قال لي:

-وبعد كل هذا، ماذا لو عاد مُعتذرًا؟! بعد أن مَحوتِ ذكرياتك، ومحوتِ جزءًا منه.. ماذا يا سيدتي؟!

أخذتُ نفس عميق خرجت عن إثره شهقة شقت جدار قلبي، قبل أن أجيبه قائلة:

-عاد معتذرًامعتذرًا..؟! ورب الكعبة لرددتُهُ غير آسفةٍ عليه.

هل كان يدري عن دموعي كل ليلة؟ عن نحيبي واكتئابي؟ هل أخبره الله عن دعواتي كي ينتزعه من قلبي، بعدما هجرني ذات مساء لأنني طلبت النور! النور لا أكثر؟

هل نظر خلفه مرة واحدة؟ هل أحس بسقوطي خلفه؟ سمع صوت ارتطام قلبي بالأرض وغيابي عن نفسي والدنيا؟

لا.. كل ذلك لم يكن!

لكنني دعوت الله شهورًا أن ينتزعه من قلبي؛ فإذا عاد وجد محله أنقاضًا خاوية!

ألم يكن حرامًا حين تركتَ قلبي عامًا كاملًا دون وداع أو وعدٍ باللقاء..؟

كنتُ عشت على نصف أمل، لا على عشرين ضعفا من الألم!

كنتُ انتظرتك!

كنتَ إذا عدتَ معتذرًا.. قبِلتك وقبّلتُكَ وضممتك وعذرتك.

لكن كل ذلك لم يكن..

لم يكن منكَ غير الألم.

والألم بالألم، والبادئ أظلم.

وبعد مرور عامين علي فراقنا.

لم يتبقي له شئ بداخلي، مُحيت كل ذكرياته من قلبي، لم يعد قلبي يتألم عندما يمر إسمه من امامي، ولو تذكرته كان جراء الكوارث التي سببها لي، والفاجعه التي احرقت قلبي،كلما تألم قلبي اتذكره فلم يبقي له بقلبي سوي الكره...لا شئ سوي الكره له.ولو خيرتني الحياه بين حياتي الان وبين فراقنا لاخترت فراقنا بكل تأكيد،لن اقبل به بعد اليوم ولو كان ذكري عابرة.

-لِمَ إفترقنا؟!

كان فراقنا لعده اسباب، لا بل الكثير منها لا استطيع ان ابوخ الا بالقليل منها.

افترقنا لانني شعرت ان وجودي كعدمه! لا يكترث لغيابي ولا يبحث عني حين اغيب، ولا يفتقد وجودي، ولا يهتم بمعاد عودتي، لانني شعرت ان وجودي ثقل كبير علي كاهليه، لاني لم أرى الحب الذي منحته اياه، افترقنا لانني اردت ان اشعر باهميتي ولو لمره واحده!!لانه كان لا يمل من مقارنتي مع هذه وتلك،لانني لم اعد اتحمل مقارنتي مع الاخريات من أبناء جنسي.قد لا اكون فتاه كامله ولكنني لا اريد البقاء مع شخص يشعرني بالنقص!لانني يا صديقتي لست مثاليه وارتكب الأخطاء مثل اي بشر..تلك الأخطاء التي لا يمكن تقبلها فالرحيل اهون عندي من مقارنتي مع غيري،لانني ان لم اكن الخيار الاول والاخير في حياته لا مكان لي ولا مكان له بقلبي.

افترقنا لانني اردت ان يختارني احدهم من وسط الجموع ودونًا عن الجميع؟ يتقبل السئ قبل الجيد بي. نحن بشر ولسنا ملائكه تملؤنا العيوب ولكنه الستر .ولو انه احبني ما كان له ان يري تلك العيوب..لو انه احبني كما فعلت انا ،لرأي تلك العيوب مميزات...لو انه فعل...!!

وأشد ما يؤلم قلبي انني لم اشعر يوما بأنه رجلاً يمكنني الاتكاء عليه كان ضعيفًا مهزوز الشخصية، وكنت قويه املك زمام الأمور. كان تعريفه عن الرجوله يتلخص في الغيره فقط، ولكن كونه رجلا يسعي للحفاظ علي علاقتنا لم يظهر ما يدل علي ذلك.وعندما كنت اواجهه بحقيقه ما كان به إلا مر ان يرميني بكلمات انا في أشد البعد عنها.

-كان يقول لي :"انت امراه متطلبه لا تراعي متطلبات الحياه، كل ما يشغلك هو نفسك!، وكل ما يهمك ان تشعريني بالتجز وقلة الحيلة، وانا الذي اعمل واتحمل ضغوطات الحياه، وانا اعلم تمام العلم لو انني اتيت لك بنجمة من السماء ووضعتها بين يديك ما كنت لترضي.، بل كنت ستحدثيني عن صديق صديقتك الذي قدم لها الكواكب السيارة، والقمر المنير، والشمس الساطعة "

كان يرميني بتلك الكلمات لانه لم يفهمني يوما. لم يفهم أنني دومًا جوعي الي الكلام الحلو الصريح، لم يفهم انني جوعي لافعال الحب ، وانه مع كل الذي كنت انتظره منه ولم يفعله، أحببته. لم يفهم احتياجي الي تلك الكلمه الصغيرة- أحبك- لم يفهم انني في الاصل اريد منه هذه الكلمه ويا حبذا لو سبقني بها اطير سعادةً حينها.لم يفهم اننا النساء دوما جوعي لكلمه "احبك" مع بدايه كل صباح.

انقطعت كلماتها فجأه ولم يسمع منها سوي دوي الألم ابخارج من اعماق قلبها.. ولاكن ايكون للالم صوت!؟

امسكت"منار" بيدها اليمني وشدت عليها وهي تربت علي كتفها بالأخري قائله:

-تعلمين يا صديقتي ان كل ما اخبرتيني به حفر بقلبي، وان كل ما مررتي به لم يكن بالسهل.؛ قد تبدوا اسباب الفراق تافهه لمن ليس طرفا فيها ولاكن ي صديقتي مصيبتك مصيبتي أيضًا لا اريد ان اري ضعفك بعد الان، لا اريدك ان تتعري أمام احد وتتجردي من مشاعرك حتي لو كنت انا. لم يكن

يشبهك صدقيني، انت لست مطالبه بأن تواصلي حياتك مع شخص مثله اطفئ شمعه شبابك إنظري... انظري معي الي وجهك كم هو شاحب.. انظري الي عينيك كيف اصبحا كزهرة ذابلة، انني اليوم وفي تلك اللحظه اري عحوزاً هرمه اهلكتها أثقال الحياه ولا اري صديقتي التي عهدتها.. انت لست مطالبه ان تتحملي القسوه والتعب والتجاوز في حقك من أجل الحب فليذهب الحب الذي يقضي علي ما تبقي منك الي الجحيم. انا لا اعلم لما لم ترحلي الي الان؟!لا اعبم لما اعطيتيه كل هذا الحب الذي لا يستحقه؟!

انا ايضًا لا الومك على الحب، لكن الومك علي روحك التي اهلكتيها مع الشخص الخاطئ.

ارحلي ي صديقتي لا تهتمي لما سيقال عنك انت وحدك تدركين قسوه البقاء في علاقه مع شخص لا يشبهك

تنهدت "حور" واطلقت زفرات متتابعه معلنه عن خروج اخر ما تبقي من "اياد" والمه الفاجع بقلبها منذ سنوات ثم قالت بصوت خافت:

-يبدوا انه لا أمان الا في الهروب.. سنظل نهرب دوما من مصيرنا الي ان تجتمع الخصوم.

صمتت قليلا قبل ان تخرج تنهيدة تبعتها :

-ثم انه حب عمري الذي أهداني كل هذا الخراب وبكت.

ومن ثم إحتضنتها " ميار " بقوة الي أن هدأت.

وعادت الصديقتان كلاً منهما الي بيته.

وفي المساء فتحت " حور " مدونتها الإلكترونية وبعثت برسالة أخيرة الي اياد:

إليك أخر كلماتي عنك بين أحضان مذكراتي التي حينما أنتهي منها سأحرقُها حتي يتناثر رمادها في الهواء وتتناثر أنت معها. الأن أكتبُ لك للمرة الأخيرة، وحينما اقول:" أكتُب" لا يعني ذلك أنني أوثقك! بل يعني أنني أشيعك الي مثواك الأخير.

إليك عزيزي/

" كنتُ أجاهد حتي أراكَ بعين قلبي متغافلة تمامًا عن ما بدر منك.. تغافلت تمامًا عن الجرح الذي تسببت فيه بقلبي. كنت أحافظ علي صورتك بداخلي كلما قلت لي:"انا شخص سئ" كنت اردها لك:"بأنك اجمل ما رأت عيني" كنت أغفر زلاتك وأتغاضي عن أفعالك السيئة، ألتمس لك السبعون عذرًا وأزيد.. فقط لأنني كنت أريد أن أراكَ جميلاً دائمًا. كنت أتمنى حتي لو أننا انتهينا لو يمر اسمك من أمامي فأقول:"كانت علاقتنا جميلة، لكنه القدر" كنت لا أريد أن يصدمني إختياري لك، ولكنني إكتشفتُ سوء اختياري لكل من احبهم قلبي.. هزمتُ نفسي بإختياري لك، وهزمتني بخذلانك لقلبي... فلا سلامٌ عليك ولا إليك.... والسلام "

حبيبتك / المخلصة حور

،،لقد أنصفتك من جسدي، وهذا القلب بالتحديد،،

"نهاية روح"

أرسلت إليه رسالة بريدية بخط مُتعجرف ساخر قائلة فيها:

"ستوافق الليلة ذكرى لقائنا الأول مُنذ أربع سنين

أعلم أنهُ كان مُجرد سراب أو كِذبة، لكن لرُبما لديك ما تقوله، ولربما لدي أيضًا.. سأكون سعيدة، إن حضرت"

أرسلتها وهي تعلم أنه سيحضر حتمًا.. رُبما ليس حُبًا.. ليس شوقًا.. لكن سيحضُر على أية حال؛ وإن كان السبب فضولًا ليسمع منها ما لديها في آخر عام حمل بقايا حكايتهم.

كانت تعلم أن في صدره لها أطنانًا من الحُب، وأنه ما زال يُريدها كأول لحظة جمعتها الحياة به، كانت تعلم أنهُ لم يتجاوزها بسهولة، ومتأكدة جدًا من أنه لن ينسى يومًا تفصيلًا واحدًا جمع بينهُما.. فقد كانت له أكثر من حياة.

اتصل بها، ولم ترد..وبعد دقائق، أرسلت له:

"في مقهى السراب الموجود في آخر الحي"

فرد عليها:

"بالطبع لم أجهل المكان، إنما أردتُ التأكد من حضورك فقط!! شكرًا جزيلًا لأنك ما زلتِ تُقيمين قدرًا لعلاقتنا البالية"

وصلت قبل الموعد المُعتاد بنصف ساعة، كانت تود أن تتشبع بذكرى المكان قبل قدومه، فقد فقدت مؤخرًا شعورها بكل شيء، لكنها حين وصلت رأته جالسًا على كرسيها، يضع حقيبة ظهره مكانه، ويتكئ برأسه على يديه فوق الطاولة، نظر إلى حقيبته بهدوء، ويُحرك قدميه، بطريقة تُشعِر الناظر إليه بالتوتر

اقتربت منه؛ وحينما شعر بوجودها رفع الحقيبة من مكانه، وعاد لمكانها..

وقفت عند مقعدها وقالت:

-هذا مكاني..!

لم ينظر إليها مدعيًا انشغاله بحقيبته، فكررت عليه ما قالت فقال:

-لقد سبقتك.. وقلبك ليس معي ليحجز لكِ المكان الذي تُحبين.. اجلسي هُنا

ابتسمت وقالت:

-حسنًا.

-ماذا ستشربين..؟!

وحين كادت أن تنطق قال:

-قهوة قهوة.

رفع يده للنادل وطلب منه فنجاني قهوة إحداهما محلى جيدًا والآخر مر..

-أحببتُ أن نتبادل الأدوار قليلًا

لأكن أنا الجبار هذه المرة، ولتكني الفتاة الأكثر نبلًا.

أوصدتُ القفل عليكِ داخلي جيدًا قبل أن أحضُر، لا يمكنني أن أحتمل وجودك في صدري وأمام عيني..أخشى..

نظر بعينيها بعمق ثم أردف قائلًا:

-أخشى أن يُفلت مني الكلام.. فأحاسب!

ردت بلا أدنى اكتراث وهي تضع حقيبتها جانبًا:

-أخبرني عنك، كيف حالك..؟! ماذا تفعل؟!

-وأنتِ..؟!

فاستنكرت رده قائلة:

-لم تُجب!

فقال:

-حولت السؤال عليكِ لتشعري بسخفه! كيف يكون حال عاشق في ذكرى فُراقه..؟!

-إذًا سأجيبك أنا.

أنا بخير جدًا، أستيقظ صباحًا وهاتفي بعيد عني كي لا تضرني إشعاعاته، أستمع لصوت فيروز وأشرب قهوتي بلا أن أُفكر بك، أرتب شعري الطويل و...

فقال مقاطعًا:

-وتبتسمين..؟!

-بالتأكيد أبتسم، ووجهي يكادُ يُنير من سعادتي.

-أيمكنكِ أن تكوني صادقة لهذه الليلة فقط على الأقل!

اتكأ على الطاولة بإحدى يديه ثم أتبع:

-لنخلع عنا داء عنادنا لليلة واحدة في كُل عام، حتى تُصبح هذه الذكرى بالية، فلا يحضر أحدنا إليها.

فقالت بعد أن أسندت ظهرها على الكرسي:

-يؤسفني ألا تصدق أنني أعيش دونك بسعادة كما كنت أفعل معك! انا لا أفكر بك من الأساس ولو خطرت علي بالي بالصدفة تجردتُ من خيالاتك لأفعل أيُ شئ أخر عدا التفكير بك، صدقني لقد تجاوزتك بالكامل لم يبقي لكَ بداخلي شئ.

قال متجاهلًا حديثها:

-هل تشعرين بالرضا..؟! ليلًا حين أخاطرك وأقول لكِ كل ما أقوله، حين أزورك بأحلامك وأستيقظ صباحًا معكِ أراقبكِ وأنتِ تسرحين شعركِ، فنجان القهوة الذي كنا نشربه معًا على الهاتف، ريشتك التي كنا نتقاسمها،

رقصة البالية التي كنت أصر على إضحاكك لأفسد اتزانك فيها، تفاصيل غرفتك ودميتك الممددة في وسط سريرك، قمصانك وإكسسواراتك، ونظاراتك الطبية

هل تجاوزتني في كل هذا..؟! هل حقًا ما عدتُ أعني لك شيئًا..؟!

سكتت وظلت تعبث بأظافرها، ثم رفعت نظرها ناحيته قائلة:

-لن تُصدق إن أخبرتك أني فعلت.

لقد تجاوزتك بالكامل، والأسوأ من ذلك أنني أحاول ألا أفعل!

أتدري يا (أنور)

أنت لست جاهلًا عن بلادتي واضطراب مشاعري وتلاشيها.

كنت دومًا أخبرك كيف يحيل كبريائي بلحظة واحدة كل غالٍ على قلبي إلى ما دون الصفر، وكأنه لم يكن شيئًا

لكني كنت أود أن أقصيك بعيدًا عنه، كنت أرغب أن أبكي بضعف أمامك، أن أطلب مساعدتك، وأن أرتجيك لتفعل شيئًا لي حتى وإن كان الشيء لأجلك أنت.

وضع النادل فنجاني القهوة أمامهما وانصرف

فأتبعت:

كنت أودُ أن تكون علاقتنا مُبتذلة جدًا نعم.. مبتذلة!

أن أعيش دور الضحية والضعيفة وأن أبكيك على الأطلال وأسهر شوقًا لك؛ لكن ما من شيء مم أردته حدث، وظللت أعاند وأتخلى عن تفاصيلك وأتجاهلها بإصرار شيئًا فشيئًا حتى تخليت عنك

أنا آسفة يا (أنور)، هذا عامنا الرابع وما زلتُ أراك غريبًا

لا أدري لمَ أرسلتُ لك لتحضر، لربما أيضًا أردت أن أشعر!

فأنا أبحث دومًا عن شعور، يغير نبض قلبي الرتيب، لا أدري حقًا ما السبب الذي يجعلني أفشل دومًا في النجاة مني والوقوع في أحد فخاخ الوجع عشقًا أو شوقًا أو خوفًا.

أخذ رشفة من فنجان قهوته وأتبعهُ بلُفافة تبغ؛ أخذ منها نفسًا عميقًا ونفث دُخانها بعيدًا عن وجهها وقال بغضب:

– استمعي إليَّ جيدًا ولا تُقاطعيني رجاءً؛هذه القسوة التي تنافريني بها لا تشبهك أبداً ، كتمانك لمشاعرك تجاهي و تهربك مني واضح جدا على ملامحك، لم لا تعترفين بحبك لي و لو لمرة واحدة ؟! تقولين أصابك التبلد في مشاعرك ، ولكن حقـًا هل تجاوزتيني بكل هذه السهولة ؟!هذا لقاؤنا الرابع من بعد فراقنا ، ولم أعلم الى الآن لم نلتقي إن كنا حقـًا قد افترقنا !!

لِمَ البُعد؟! أجيبيني..

أمسكت بفنجان قهوتها ، ارتشفت منه ، اراحت الفنجان على الطاولة ، قالت ببرود :

-يجب أن تدرك جيداً أننا لم نخلق لبعض !

-حقـًا ؟ ألم تكوني في الماضي ضد هذه الفكرة ؟!

-نعم و لكن ..

قاطعها قائلاً :

-لا كفى ،دعيني أشرح لك ..

صمتت وظلت تنظر له بريبة.

اقترب منها ، وضع كلتا يديه على الطاولة حتى صار وجهه بوجهها تمامًا ، ثم أتبع :

-رأيتني رجل مختلف ، و ربما أكون فريد من نوعي ، لا تلهيه المغريات ولا يلتفت الا لما هو حقيقي .. ربما !

إقترب لها أكثر،حتي كاد أن يقوم عن مقعده:

-تملكت من أفكارك يومـًا بعد يوم ، حتى أدركت ما تهوين و ما تكرهين ، ما يقلقك و ما يدخل الطمأنينة الى قلبك ، اصبحت لك كالقرين يجري في عروقك، حتى الكلمة التي لا تخرج على لسانك أكون على دراية بها،و..

قاطعه قائلة:

-انا لا أهتم لما تقوا الآن، ولا اهتم لأي حرف تنطق به ، تعلم لماذا ؟! لأن التي تراها الآن امرأة يطغي عليها الجبروت ، أربعة سنين كانت كافية لأقتلعك من قلبي فيها ، كانت كافية لأن أجلس معك وجها لوجه و لا أراك! أنت تفترض أشياء لا وجود لها من الأساس.

نظرت الى عينيه فرأت دمعة على وشك السقوط ، فضحكت بلا مبالاة ، فقال:-تضحكين، أسعدك الله.

أمسك كلا منهما فنجان قهوته ، وحين أوشكا أن يرتشفا منه ، نظرا الى بعضهما البعض ، فضحك الاثنين أنزل هو فنجانه ... ارتشفت هي الرشفة الثانية وحدها.

رفعت كتفيها ويديها بنفاد صبر وقلة حيلة.

أخذ نفسًا عميقًا ثم قال:

-ويلي منكِ، ومن برودك، من حبكِ المريض، وضحكتك الكسولة، وثنايا حاجبيكِ حين تعقدينهما، ويلي من صوتكِ، وتفاصيل يديكِ، من عفوية طباعكِ، وحتى من صدّكِ وامتناعكِ.

ويلي منكِ حين تخطرين ببالي ليلًا بعد نهار طويل وشاق، أعزم فيه على النوم، فتنقلين برودكِ لفراشي، وصدكِ لنومي، وكسلكِ لعزيمتي في التخلي عنكِ.

فتذيبينني، وتجبرينني على سماع أحد مكالماتنا المسجلة، ومن ثم أغنية تخصنا

وأنسى وجع فراقنا من شوقي لكِ فتغمرني السعادة وأقف على نافذتي وأحادثكِ..

نعم، والله أحادثكِ وأمسك هاتفي بلا أن أجرؤ على الاتصال وبعد أن أنتهي أدندن وقد اجتاحني شوقي لكِ:

الأمااااكن كلها مُشتاقة لكِ ...العيون اللي انرسم فيها خيالك.. كل شيء حولي يذكرني بشيء؛ حتى صوتي .. ضحكتي لك.. فيها.. شيء.. وبعدها أعود لفراشي وأغلق النافذة اللعينة، وأضع الوسادة فوق رأسي علّي أمنع صورتك عني، وأنام.

أتدرين؟!

أنا أعلم أنني لن أبكِ أمامك الآن، وأني لن أطلب منك الرجوع إليّ، وأني لن أحاول خطفك أو إجبارك على أن تقولي شيئًا لطيفًا لي، لكني.. لكني.. وكم أتمنى لو أنني لم أقربك في تلك الساعة الملعونة، حين اجتاحني حُبي لكِ وأقبلتُ عليكِ لأضمكِ بلا وعي؛ ليتني ما أحببتكِ يومًا وما عرفت طعم وجودك.

أنا..

أنا أحتاج لصوتكِ لو مرة في اليوم، أنا أريدكِ أن تسألي عني ولو بنقطة واهية تشعرني أنكِ بقربي

أنا..

أنا لا أحتاجكِ أنتِ بأكملكِ، أحبي غيري، وتزوجيه إن شئتِ!!

لكن، تعالي إليّ ولو كذبًا، واسألي عني ولو نفاقًا .

أنا..

لا أحتاج لأعيش سوى بعض مم.. لا أنت بعض مم لا تشعرين به ولا تريدينه .

أنا..

أنا.. بالكاد أتنفسكِ.

قولي لي كلامًا لا علاقة له بشيء، واسمعيني صوتكِ ولو كان مُسجلًا في رسالة بريدكِ الصوتي.

إنني والله أتلاشى بين ثناياكِ وأنتِ لا تعلمين.

-عليك أن تفيق مم أنت عليه، اُنظر لجبروت المرأة التي تجالسك، ألا تخجل من أن تكون رجلًا ضعيفًا..؟! لا تأبه بي، ولو جاءك تصالي لا ترد، وحين أُرسل لك رسالة تجاهلني، كُن باردًا، سيئ الطباع لئيمًا، لا تنكسر أمامي ولا تتبعثر، وأقول لكَ آخر ما بقلبي.. أقول ما يكنه هذا القلب لك:

-انا لا أحبك ، لا أحمل لك ذرة حب واحدة ، صدقني يا (انور) أن تحب شخص لا يحبك يعني أنك وقعت في بئر مظلمة لن تخرج منها إلا بعد أن تفقد جزءاً أصيلاً منك ، اياك أن تراهن بقلبك مع امراة مثلي فحتما ستخسر و يكسر قلبك بنهاية المطاف ، مهما فعلت لن أحبك مهما كتبت لي ، و نظمت قصائد شعر ، لن أراعي و لن أنتبه لكل ذلك .انا أشفق على حالك حقًا ، كنت أظن أنه عندما تصلك رسالتي ستتجاهلها و تتناسى الأمر ، و لكنك ما زلت معلق بي و بحبك لي. انا التي لا أكن لك شيء، حتى شعوري بالكره تجاهك لا أشعر به ، أخاف أن تخطر على بالي فأفكر بك لذا لا أكن

لك أي شعور ، ماذا الأن؟؟ ألا يكفيك هذا حتى تذهب...؟! حتى تقتلعني من قلبك كما فعلت انا ؟!

انت حتى لا تستطيع لومي على خذلاني الكبير لك ، لن تستطيع معاتبتي على رؤيتك و أنت تغرق بالتعاسة و البؤس و انا أرحل عنك صدقني إن أشدُ اثم على نفسك ...أقسى ما قد تعذب نفسك به، ما تستهلك روحك، ان تحب من لا يحبك ، وانا لا أحبك يا أنور... انا أكثر النساء عجزا عن لملمتك شعوراً ، و ....

قاطعها قائلًا:

-هاتي يدكِ.

نظرت إليه باستنكار وهي تُردد بداخلها (لقد كانت نهايتنا بسبب هذا الجسد الوضيع، أو يرغب بتكرار الأمر ثانية!)

فهم مغزى نظراتها تلك، فاحمرت عيناه حتى أصبحتا كالجمر، نهض من مكانه وأمسك يدها ومررها على هيكل قفصه الصدري المجفف، لا يغطيه سوى قماشة سوداء رقيقة مُصرًا أن تتحسسه بالكامل لتفهم ما لا يمكنه قوله.

أغلق سترته المنتفخة، ثم حمل حقيبته

واقترب منها هامسًا:

-لا تغترِ بنفسك كثيرًا، محاولات استئصالك كروح تسكن هذا الجسد الوضيع ستنجح ذات يوم.

ولا تقلقي؛ لقد أنصفتك من جسدي، وهذا الصدر تحديدًا!

ورحل..

تقتلك ذكرى، ويُحييكَ احتراقها....،،

"موكب الحُزن"

حين تُوُفِي زوجها، كانت تلك الفاجعة الرابعة التي تنهال عليها بعد وفاة والدتها قبيل زواجها؛ فقد تُوُفِي طفلان لها بعمر مُبكر وقبل بلوغهما بعام!

ثم توفت طفلتها التي قد بلغت من العُمر اثني عشر عامًا بحادث سير، وتلا ذلك موت زوجها الذي لطالما أحبته.

كان الجميع يُنكر عليها قوتها العظيمة في تلقي الصدمات والمُضي في موكب العزاء كأنها لا تُبالي!

بعد انتهاء العزاء قال لها والدُها:

- ليلى يا بُنيتي، نحن نحتاج للبكاء، الصراخ، والتنهد بينما يمُر بنا موكب الحُزن؛ لا فائدة من الشموخ أمام فاجعة لا نقوى عليها إلا بالصبر! لا تقفي أمام الحُزن يا بنيتي سينخر جوفك حتى تتفتتين!

قالت وهي تسير بجواره عبر مدخل البيت:

- لماذا تتخيل أنني أُجابه الحُزن يا أبي؟! رُبما ما تراهُ أمامك هو مُجرد ركود لفُتات قلبي.

ابتسمت بوجهه وقالت ممسكة بكتفه:

- صدقني، أنا بخير، لقد اعتدتُ الأمر.. اعتدتُ هذا الشعور.

- لا أحد يعتاد الألم!

تنهدت قائلة:

- لا أدري، ربما!!

أحتاج الراحة الآن، سيمر كل هذا ونعود لما كنا عليه، لا بأس...

دخلت المنزل بخطى ثابتة، أغلقت بابها وجلست على الكرسي المُناظر للمدفأة وتركت الأفكار والذكريات تتكالب على قلبها بكل استسلام.. وغطت بنوم عميق.

ولكن السؤال هُنا: هل كان تجاوز الأشخاص وفقدهم بحياتها أمر سهل حتى تبقى قوية إلى هذا الحد؟! الحد الذي يجعل منك تظن أنها لا تكترس للأمر من الأساس؟!

هكذا ظن الجميع بها؛ استطاعت أن تبدو أمامهم في غاية الثبات والهدوء، بينما كان الحُزن يأكل قلبها، إستطاعت أن تُقنع الجميع أنها بخير وكأن شيئًا لم يكن، بينما كان التجاوز بالنسبة لها أمرًا مستحيلاً. لم تستطع أن تظهر كسرها أمام العامة، أن تُسقط دموع الحُزن فيراها الجميع. فقط لأنها لم تعتد السقوط والظهور برداء الضعف.

وحين إشتد عليها الضغط تجاوزت أشياء لم تتخيل أنها ستتجاوزها، أشخاص، مواقف، وذكريات. وحين إضطرت أن تبكي. كانت تبكي وحدها، تتألم وحدها، وتنهار وحدها. هكذا أخبرتهم أنها ما زالت تقف علي قدميها بكل ثبات جاهلي هوية تلك الأقدام، وأنها من ورق ليس إلا.

-قد جُنت ليلي يا صفاء.

قالها "عامر" لزوجته بعد أن أنهى مراسم العزاء وترك ابنته لترتاح كما أخبرته.

- ما الذي حل بها؟ أراها ثابتة كأن شيئًا لم يكن!

- هذا ما اعتقدته أنا أيضًا حتى رأيتها اليوم، الحزن نخر عينيها، وشوه ملامح وجهها.

- عزيزي لا بد لها من الألم كم فاجعة مرت بها وما اشتكت؟! ولكن أعهدُها قوية كما هو حال والدتها عليها رحمة الله، حتمًا ستتعافى، ولكن يجب أن نحترم حزنها.

- لا ابنتي ماتت، الحُزن قتلها.

أمسكت صفاء بكتفه تربت عليه وقالت في حزم:

- عزيزي استمع إليَّ جيدًا وافهم مغزى حديثي؛ من قال إن حزنها يعني أنها ماتت؟!

هي قوية، إعتادت علي مخالب الحياة، إعتادت أن تأخذ الصدمة بكل ثبات. حتي أن الفاجعة الثالثة جعلت منها إمرأة قوية لا يهزمها الخوف، ولا

تميتها الذكريات. إمرأة مثلها فقدت طفليها.. فقدت جزئين من ضلعها وما زالت صلبة تظهر بهذه القوة والثبات، لا خوف عليها من فواجع الزمان، وإن كانت تُظهر عكس ما يحمله قلبها من حُزن.تدري لِمَ؟! لأن من تستطيع أن تُخفي حزنها فقط لأجل أن لا تبدو أمام الجميع بأنها حزينة.. تلك التي يقال عنها إمرأة حديدية.

لا تستعجب يا عزيزي هي إمرأة قوية بما يكفي لتقف كل صباح أمام مرآتها وتحاول تجميل ملامحها لإخفاء آثار ليلة قضتها وهي تبكي وتصرخ في صمت وثباتٍ تام، لتظهر كما لو أنها لم تمت من فرط الآلام في الظلام، صديقة الوجع والحزن والاكتئاب، هي تعرف كل هذا لكن من قال إنها ماتت هذه المرة؟!!

ربما تحتاج أن تُظهر حزنها قليلاً، أن تتعري ولو لمرة واحدة أمام نفسها وإعطاء حزنها حقه، أن تُترك لكي تُمارس طقوس حزنها بمفردها لربما تستعيد نفسها.

تعلم أنها لا تُحب التعبير عن حزنها بشكل واضح وصريح وتأبي إظهاره. فلِمَ لا ندعها تعالج أثار ذلك الحزن؟! تلك الأثار التي إلتصقت بقلبها!! عليها أن تأخذ نصيبها من الحزن حتي تعلم أن الموت يداعبنا كل يوم بالفُراق، بالخيبات، والحزن، والبكاء.

- أرجو ذلك يا صفاء وأدعو الله دائمًا ألا يختبر صبري ببنيتي أيضًا. أراد الموت أن يعلمها معنى الفقد، أراد أن يوقظها من ثُباتها فاختطف والدتها أولًا ثم طفليها، والآن زوجها.. الموتُ لم يترك لها حبيبًا ولا صديقًا.

- ستطيب الأوجاع، وسيقذفُ الله في قلبها الصبر وتجتاز الفاجعة بسلام.. أفضل ما قد تقدمهُ لها أن تدعو الله لها.

****

استفاقت من نومها العميق، التفتت تنظر إلى الحائط، فرأت صورة زوجها، تناولتها عن الحائط وجلست على الأرض؛ تحسست ملامحه المسطحة ثم ابتسمت قائلة:

-حتى ملامحك باتت مسطحة كما هو حال قبرك.

سقطت دموعها، وأردفت:

-أأبدوا حقًا كذلك؟! هل استطعت حقًا أن أُنهي مراسم عزائك بلا أن أنهار؟

لا أدري كيف مر هذا الوقت، لكني أكيدة أنك كنت تعبث بالوقت ليسير سريعًا، فلا أشعر به!

مسحت دموعها وأكملت حديثها مع فقيد قلبها:

- أذكر أنني لم أستطع السير خطوة واحدة دونك في كل حادث سابق، أذكر أني كنت هشة جدًا، ضعيفة جدًا، فأني لي هذه القوة في غيابك!

أتعرف..

أنا الآن أبكي بلا أن أدرك بهذه الدموع! لا أريد ذلك، ولا أشعر بالوجع.. جسدي مقشعر، والدموع تأبى الوقوف وأنفاسي تزداد حرارة.. وأطرافي،

أطرافي متجمدة! لكنني رغم ذلك، لا أشعر بشيء، أقصد أنني لا أتألم.. انتظر!

وقفت ووضعت صورته أمام المرآة ونظرت لنفسها.

- انظر ها أنا بخير، أستيطع أن أبتسم.

ابتسمت ثم أخذت تمسح دموعها لتنهال مرة أخرى.

- إنها تنهال من تلقاء نفسها، أنا لا أفعل صدقني!

أغضبها أن دموعها لا تتوقف، ذهبت سريعًا غسلت وجهها بأكمله وعادت له.

- لقد أصبح الوضع أفضل الآن..صدقني عزيزي أنا بخير.

خلعت سترتها ثم قالت وهي تحمل صورته:

-هيا دعنا نشرب القهوة معًا..

وضعت أغنيتهما المفضلة، رفعت الصوت، وأخذت تغني معها، حتى أنهت إعداد القهوة، فحملتها وجلست بقرب المدفأة، ثم قالت بصوت مرتفع:

-عزيزي، القهوة جاهز..

صوت خرخشة داخل صدرها:

-عزيزي..

أوه.. لا أنت هنا، أرجوك!

أسرعت للمطبخ أخذت صورته وعادت وهي تنظر إليه بملء عينها، وقبل أن تصل الطاولة، خرَّ جسدها:

-لا تقلها.. لم تمت..أطفالنا فقط من ماتوا، صحيح!

استجمعت قواها حتى جلست على الكرسي، ووضعت صورته أمامها، ثم قالت والدموع تموج داخلها:

-دعنا نشرب القهوة معًا..

دعنا نشربها....

حملت فنجانها وهي تنتظر فنجانه أن يصعد لفمه، ولما لم يحدث شيء وضعته على الطاولة بيدين مرتجفتين:

حسنًا...إن كنت لن تشرب.. فأنا.. أنا أيضًا لن أفعل..

غرقت عينها بالدموع، أرادت أن تبتسم، لكنها انهارت فوق الطاولة بكاءً.رفعت وجهها نحوه وقالت:

-أذهبت أيضًا!

أذهبت معهم..؟!

هل أنا سيئة لهذا الحد؟

لماذا..؟!

لقد كنت لأذهب معك لأي مكان..

لقد.. لقد رضيت بأن أخسر كل أولادي وتظل أنت لي!

لقد رضيت أن أموت في العراء، لكن بين يديك!

أخبرتك أنني وحيدة جدًا، وأنني أردت أن يُملأ غدي بأطفال منك.. لكني رضيت حين قلت أنك معي..

رضيت أن أكتفي ببضع ساعات معك!

رضيت بأن تكون وحدك صوت الدفء لقلبي!

لا صداقة، لا إخوة، لا أم، لا أولاد

ثم تتخلى بهذه السهولة!

أمسكت صورته، أزالت الإطار سريعًا، ضمته لصدرها بكل ما أوتيت من عجز، ثم قربته من وجهها وقالت: لست موافقة.. هيا عد.. عد إلي.. ها قد حاولت أن أصمد، لقد حاولت والله حاولت لكنني لا أزال خائفة.

لم يعتد قلبي الفاجعة.. لم يعتد الفقد..

لم..

نظرت له وغطت وجهها بكلتا يديها، غصّت روحها بأنينها، وبكائها حتى غابت عن وعيها تمامًا.

ولما أفاقت، وجدت نفسها بالمشفى، نهضت من فراشها، وأصرت أن تعود للبيت فورًا، قال والدها:

-ظلي هنا حتى يتحسن وضعك!

نظرت له وقالت:

- أبي!

لقد فقدت ثلاثة أطفال قبله ووالدتي..لا بأس بموكب الحزن، قدري أن أكون وحيدة دومًا، كل من رحلوا كانوا ضحايا هذا القدر، علي أن أعود للبيت لا مكان لي هنا..

حالما دخلت البيت، نظرت للمرآة وقالت:

- يكفيكِ فرارًا من وحدتك، يكفيكِ تحاميًا بأكتافٍ أثقلها حبك حتى هلكت جميعًا! صعدت لغرفتها حملت كل دفاتر مذكراتها وصورها ووضعتها بالموقد، ثم اتخذت عهدًا على نفسها ألا تجعل لأحدهم مكانًا في حياتها!

ولما أخبرت والدها بذلك وعاتبها قالت:

- سأتمسك بقدري يا أبي، ألست من قال لي لا فائدة من الوقوف في وجه القدر، وأن ذلك سيحيلني لفتات!

ها أنا اليوم أجمع ما تبقى مني وأقرر السير مع التيار لحيث لا أدري..

أخفضت نظرها وقالت بنبرة منكسرة: لحيث.. جرفهم قبلي!

أوَلا يَعفو المُحب...؟!،،

"لكنه القدر"

وصل البيت كعادته، فسلمت عليه بابتسامة باردة، ثم وقفت لتعد له الطعام، كان يحادثها من على الأريكة، وحين شعر أن ثمة خطب ما بها، نهض ووقف مستندًا على باب المطبخ قائلًا:

-ما الأمر..؟!

نظرت إليه بلا أن تتوقف عن إعداد الطعام، افتح رسائل الواتساب واقرأ ما جاءني بها.

قلق، ذهب مسرعًا للهاتف، فتح الرسائل، فوجد رقمًا غريبًا قد أرسل:

"كيف حالك عزيزتي..؟!

أعلم أنكِ لا تعرفين أي شيء عما يحدث خارج جدران بيتك، لكني أشفق عليكِ حقًا..

أوتعلمين أن زوجكِ لا يعمل حتى السابعة مساءً كل يوم، وأنه يكون بصحبة امرأة أخرى غيركِ!

إن أردت التأكد من ذلك، فاذهبي غدًا لعمله، وستتأكدين بنفسكِ أنه قد غادر منذ ساعات..

أوتعلمين أنه حين يغيب عن البيت ليلًا، لا يكون في بيت أهله، بل يكون في بيت آخر مع امرأة أخرى، بينما أنتِ تظلين وحدكِ بانتظاره مع وهم حبه العظيم لكِ!

أوتعلمين أنه يوفر الكثير من المال ليخرج معها، ويبتاع لها أفخم الهدايا ليرضيها، بينما يقول لك أنا لا أؤمن بالأعياد..

ويمكنك أن ترى صور الهدايا في هاتفه، إن لم يقم بحذفها!

أنا فاعل خير فقط وأردت أن أوقف استخفافه بك وبطيبة قلبك، وأن أخبرك كل شيء يحدث ويمكنك مراقبته وتحري كل شيء بنفسك، وإن شئت معرفة أي شيء، راسليني هنا.."

نظر لها متوجسًا وقال بصوت غاضب:

- ما هذا الهراء..؟!

ومن هذا الذي يجرؤ على قول شيء كهذا عني!

وضعت الغداء أمامه على الطاولة وقالت:

- بالهناء والشفاء..

تناولت فنجان شايها، وجلست على الكرسي المقابل للتلفاز، خلعت خفها ورفعت قدميها، ثم أخذت تقلب محطات التلفاز..

كان يراقبها بتعجب، حتى وضعت جهاز التحكم على الطاولة ونظرت إليه مبتسمة:

-كل الآن عزيزي لا عليك.

قال غاضبًا:

- كيف آكل وأنت تتهمينني بكل هذا..؟!

قالت وهي تنظر بفنجانها:

- لا داعِ للانفعال، كل الآن وسنحل الأمر فيما بعد..

رمى الهاتف جانبًا، ثم تناول جزءًا من طعامه، بينما لم تنظر له قط، ولما انتهى، رفع الطعام للمطبخ وقال حين عاد بهدوء:

-هاقد أكلت، هلا شرحتِ الأمر لي!

نظرت إليه قائلة:

-هل ما كُتِب كان صحيحًا..؟!

قال مسرعًا:

- لا، بالتأك..

قاطعته يدها وصوتها يقول:

-شششش

لا أريد أن أسمع أكثر، قد قلت "لا"، إذًا لا داع لمنح ما كتب وقتًا إضافيًا، صحيح!

ابتسمت له، وأمسكت هاتفها، ثم مسحت الرسالة وهي تقول:

-ها قد حذفتها.

عادت تنظر نحو التلفاز بينما يحدق بها، قال بعد بضع ثوان:

-هل راسلته..؟!

قالت وهي تشرب الشاي:

-انسَ الأمر، ما دام كذبًا فلا يستحق منا حتى الكلام.

سأعد كوبي قهوة لنا، لنعدل مزاجنا..

ارتدت خفها وحين صارت بجانبه أمسك يدها، وقف وقال:

- هل أنتِ منزعجة..؟!

قالت وهي تنظر ليدها في يده:

- لا..

-انظري إليّ!

رفعت نظرها نحوه وقالت وهي تحدق به:

-لا..

-ولماذا تتصرفين بهذا الشكل معي..؟!

أفلتت يدها من يده، ثم أمسكت رأسه وقبلته قائلة:

-أعتذر منك، لم تفعل شيئًا لأعاقبك عليه، فقط..

أنزلت عينيها إذ كادت تدمع ثم أردفت قائلة:

-الحديث أزعجني قليلًا، سأعِد القهوة..

ابتسمت ونظرت له نظرة خاطفة، ثم دخلت المطبخ..

جلس على الأريكة شارد الذهن، بينما كانت توجه نظرها صوب الغاز وتمسح دموعها بصمت، كي لا يشعر بها..

ثم حملت القهوة مبتسمة، وحين وصلت، قالت:

-ها.. أكمل لي ماذا حدث معك بالعمل أيضًا..؟!

نظر لها وقال:

-لِمَ لا تريدين أن تسأليني على الأقل حول الأمر..؟!

لِمَ لم تراقبيني لتتأكدي من ذلك، وأعطيتني الهاتف لأقرأ..؟!

لِمَ لم تشُكِ بي..؟!

اختنقت، لكنها ما أرادت البكاء في تِلكَ اللحظة..

رفعت كتفها وقالت منشغلة بفنجان قهوتها:

-قلت لا، فلِمَ أفعل ذلك..؟!

تنفست الصعداء ثم قالت وقد سقطت دمعة من عينها مسحتها سريعًا:

-أتخيل لو وصلتك رسالة كتلك عني، هل كنت لأحب شكك بي، أسئلتك بهذا الطعم اللاذع من عدم الثقة..

ابتسمت وقالت وهي تنظر له:

-لا تستحق أن أُذيقك هذا..

قال وهو يعبث بأصابعه:

-ولِمَ لم تشكِ.. أوليس واردًا أن أكون قد فعلت ذلك بحق..!

انهمرت دموعها بتتال، فقالت وهي تمسحهم:

- حين أرى ذلك واضحًا سأ...

انقطع نفسها، تنهدت، ثم غطت وجهها بيديها، حتى هدأت قليلًا، ثم مسحت كل شيء وقالت بنبرة جادة:

-لا أحب التفكير بشيء يؤرقني، معدتي تقرحت من التفكير بذلك صباحًا، لذلك لا أريد التحدث بالأمر..

إن كان ما بيننا قد هان عليك وخنت، فحينها أنا لا أعني لك شيئًا، وبالتالي لن أبقى في حياتك لحظة واحدة..

وإن كنت لم تفعل، فلا داع لأن أضعك في موقف دنيء كهذا..

هذا كل شيء!

اقترب منها وقال ممسكًا يدها:

-وإن كنت قد فعلت وتبت، هل تسامحيني..

سحبت يدها من يده وقالت:

-لا والله لا أفعل!

وقف الدمع في باب مدمعه وقال:

-لكِ الحق في ذلك، أنتِ أكرم من أن تظلي مع شخص دنيء مثلي.

أنا لا أستحقكِ!

نظرت له وفمها يرتجف، هزت رأسها وقالت هامسة:

-فعلتها..؟!

سقطت دمعته وهو يناظرها، فمسحتها بيدها وقالت:

-كن قويًا، لا أحب أن أراكَ تبكي، لا بأس بذلك.

مسحت دموعها ووقفت قائلة:

-لا تقلق لن أُطالبك بشيء، ولن أخبر أحدًا أنك فعلت ذلك، وإن سألوك، قل لهم كانت خائنة، لا بأس لا بأس.

دخلت تركض لغرفتها، كتمت صوتها بالوسادة، وبكت بشراهة، حتى بدأت بالسعال دم، غسلت وجهها، وارتدت سُترتها وحِجابها، حملت حقيبتها وخرجت، كان لا يزال على مقعده ذاته، وحينما رآها قد استعدت للخروج وقف بلا أن يَتفوه بحرفٍ واحد، نظرت له مبتسمة وقالت:

-فقط قبل أن أذهب أريد أن أخبرك أنني لستُ نادمة أبدًا على معرفتك، وأني أحببتك بحق؛لم أشأ أن أتأكد من ذلك؛ لأن الشك وحده أصابني بقرحة في معدتي، فكيف اليقين بأن ذلك قد حصل حقًا!!

نظرت لقهوتها وضحكت قائلة:

-على الأقل، لو جعلتني أشرب فنجان قهوتي يا رجل..!

أعطته مفاتيح البيت وابتسمت قائلة:

-سامحك الله يا.. عزيزي.

وحين فتحت باب المنزل ناداها، فلما التفتت له قال:

-أولا يَعفو المُحب..؟!

قالت:

-إن كان مُحبًا بحق، لا يمكنه أبدًا أن يُعايش فكرة الخيانة، ليتك فعلت أي شيء أي شيء آخر لأوثرك عليّ، كنت لأعفو عن كل ما دونها، لكنه القدر! أليسَ القلبُ أولى بالزهايمر من العقل أحيانًا..؟!

"زهايمر"

"كمال" شاب في السابع والعشرين من عُمره، يعمل كاتبًا في إحدى الصُحف المحلية؛ كمثل أي شاب في عُمره يُعاني بعض المشاكل المادية، بعض الضغوطات الاجتماعية.. ضغط الأهل.. ضغط العمل.. العمر الذي يجري به وهو واقف بمكانه!

في الحقيقة هو يُعاني نفسُه.. مريض بالتفكير.. يُعاني في كل ليلة الوسواس القهري؛ قد بات عقله على المحك! ينتظر الجنون في أي وقت.

في إحدى المرات وقع مغشيًا عليه أثناء عمله من شدة الصراعات التي تفتك بعقله!

أخذهُ "وليد" صديقه إلى المشفى؛ بعد فحص الطبيب له والاطمئنان على حالته الصحية قال الطبيب:

_ هو بخير، يُعاني الإرهاق.. يجيب أن يستريح.

_ شكرًا يا دكتور سأقله إلى البيت حتى يستريح.

غادر "كمال" المشفى وبرفقته صديقه "وليد"؛ بدأ عقله يُنسج الأفكار من جديد، ولكن في هذه المرة قرر أن يشارك ضجيج ذاك العقل "وليد"

_ أُصيب عقلي بالزهايمر.. أنا أُجن..!

قالها "كمال" وهو يضع كلتا يديه على رأسه يكادُ يقتلع شعره من جذوره:

_ الحزن يسيطر عليك يا صديقي، حتى أنك لا تُعطي نفسك بعض الوقت لتستريح؛ تُرهق نفسك بالعمل وتُحملها ما لا تُطيق.. تفكر كثيرًا.. بكل ما يدور حولك حتى صار عقلك يُهيئ لك أنكَ مريض بالزهايمر، و...

قاطعه "كمال" قائلًا:

_ ليت بإمكاننا أن نختار هذا المرض.. أن نمحو بعض الذكريات الأليمة، وبعض الأشخاص السيئين، أن نتذكر مواقفهم النبيلة معنا وننسى خذلانهم أن.. أن نمحو بعض الوعود الكاذبة.. والفراق عند أول اختبار.. لحظات الانكسار بعد كل خذلان!

رُبما يا صديقي لو أصبتُ بهذا المرض يهدأ قليلًا شعوري بالضياع بعد مُنتصف الليل؛ يا صديقي أليس القلب أولى من العقل بالزهايمر؟! أنا فقط تمنيتُ أن أُصاب بهذا المرض.

_ أنت تشعر بالاكتئاب؛ لا بل أصابك في مقتل. ما رأيك لو نزور طبيبًا نفسيًّا؟! رُبما يخرجك من ظلامك قليلًا!!

تنهد "كمال" كأنه يُعلن أن يخرج كل ما بقلبه في تلك اللحظة قائلًا:

_ أنا لا أعاني من الاكتئاب، لا أعاني من الحزن، مشكلتي لا تكمن في علاقات اجتماعية انتهت رغمًا عني، لا أشعر بالضيق لأحلامي التي تحطمت فجأة وأمنياتي التي انزلقت من بين أناملي، شعور الغربة بين الحضور وأنني لا أجد ما يشبهنني، إحساس أنني لا أنتمي من الأساس لهذا العالم، فقداني للشغف وعدم الرغبة في النهوض من على سريري، عدم الرغبة في التحدث مع أي شخص، رفض الخوض في المناقشات، الاكتفاء بالردود الباردة المختصرة، الثبات الذي اعتدته في أشد لحظات انهياري، كل هذه الأشياء مؤلمة، لكنها لا تزعجني..

أنا متعب، الصداع لا يفارقني والأسئلة تدور بلا رحمة، أشعر بأن ضجيج العالم تجمع في رأسي، أختنق وأفكر طوال الوقت رغمًا عني، أريد أن يهدأ؛ أن يصمت عقلي، قلبي يشعر بالثقل وكأنه يحمل الكون بين جدرانه، قلبي يشعر بالثقل ويعيق أطرافي حتى أبسط التحركات تجعلني أشعر بالتعب، أنا متعب من أفكاري، من مشاعري التي أفسدتها الصدمات والخيبات المتتالية، الطرق التي سلكتها، المعارك التي استنفذت طاقتي، الانتظار والأمل واليأس، إنه الضيق من كل شيء حولي..

أنا متعب من كل شيء، أريد أن أستريح.. أستريح فقط.

وقف "وليد" ثابت الحركة أمام تلك الكلمات؛ لا يجد الرد المُناسب، لا يعلم ما الذي يُقال في مثل تلك الظروف؟!

تمتمَ ببعض الكلمات غير المفهومة، سمع دويها "كمال" ضحك متسائلًا:

_ ما الأمر ألا تجد ما تقوله؟! أم أن حالي يُرثى له؟!

نظر له "وليد" بعينين تملؤهُما الدموع وأردف قائلًا:

_ لا شيء.. فقط تمنيتُ لو أُصاب بهذا المرض مثلك.

رغمَ أن الروح قد اقتُلعت.. لا أملك أمام صدق دموعك خياراً

"خيانة!"

دخلت غرفته الخاصة وجلست، ثم رفعت قدميها عن الأرض ممسكة بأكمام سترتها الطويلة، بشعرها العبثي المنسدل على ظهرها، بينما كان هو خارج الغرفة، وحين دخل ووجدها بلا سابق موعد قال: - أراكِ هنا..!

لم تكن ملامحها توحي بالتفاعل معه، كانت تحملق به بجفون متلعثمة، فأتبع سيره نحو الكرسي المقابل ثم قال وهو يخرج سيجارته:

- تحدثِ؟

قالت والدموع تتنفس بعينها بهمس:

-أنا متعبة.

فقال:

-من ماذا..؟!

بفم يشتعل من حرارة أنفاسها قالت:.

-منّي..!

قال:

-لِمَ..؟!

فأتبعت وهي تخفض نظرها باحثة عن حروف مبعثرة تصف ما فيها من فوضى:

-أو منهم.

فقال:

-مَن..؟!

أتبعت:

-وربما منك..!

رفع نظره نحوها بحاجبين معقودين ولم يُعقّب.

وضعت يدها بحزن على رقبتها ومالت برأسها عليه وقالت والحروف تخرج منها بصعوبة:

-لا أدري..

لا أدري، ربما كان عليّ ألا أحضر إليك أنت تحديدًا، وربما كان عليّ بعد ما حدث، وبعد كل هذا الصمت أن أغمض عيني قلبي وأبكي وحدي، إن حضرني البكاء، فلا مكان لي هنا!

لكني.. لكني "أختنق"

قالتها وهي تبتلع حلقها بمرارة شديدة.

سقطت دمعة من عينه، زم فاهه وعقد حاجبه وقال واقفًا ومُدبِر الظهر لها بعد أن شهق قلبه وجعًا:

-لا يهم، ستكونين بخير غدًا.

قالت وهي تعبث بأظافر يدها:

-حقك.

أعرف أن الظنون قد فتكت بكل حبي الذي كان بقلبك، وأن صمتي المذنب الوحيد..

أعلم أنني أخطأت بحقك، وأني أوجعتك، لكن..

نظر لها وعيناه متجمرتان:

-لكنك تحبينه..؟!

تريدين الطلاق؟ تعبت من مسؤولياتك والحلال والحرام!

وهذا الميثاق الغليظ الذي بيننا؟

أتريدين الذهاب إليه، والبكاء على صدره؟

تنهدت، فأتبع بصوت حزين:

-وطفليك..؟!

أتعبتِ منهما أيضًا!

كانت مغمضة عينيها كي لا تنظر بعينيه وهما يحترقان غيرةً ووجعًا وقهرًا، فحين اختلفت نبرته قالت:

-أيُمكنك الجلوس قليلًا..؟!

فهز رأسه وهو يحبس الدموع بمصقلة رجولته وكرامته، ثم جلس على الكرسي وأعاد ظهره للخلف وظلت عيناه معلقة بها، قالت وهي تحاول أن تلملم ما يجب قوله من الحقيقة، وأن تنطق بالبوح الذي جرها للحضور هنا بعد فاجعة معرفته بأنها تتواصل مع حب قديم لها لم تخبره يومًا عنه: - سأقول الحقيقة كاملة، فأسوأها قد تخيلته، ورغم ذلك، كنت شهمًا معي ولم تخبر أحدًا ولم تشعر أولادك ولم تعاملني بسوء؛ لذلك أظنك ستصدقني فلا شيء يستدعي حضوري سواك أنت..

ضحك وسقطت دمعته فأنزل رأسه سريعًا متكئًا بكوعي يديه على فخذيه، وهز رأسه قائلًا:

- ستخبريني عن حبكِ له..؟!

رفع رأسه لها والدمع يتجمع ثم يسقط من مقلتيه المتعبتين وحاجبيه يرتجفان توسلًا لها وقال:

-اعفيني يا أسماء، فوالله لن أقدر..

نكس رأسه وبدأت دموعه تتالى، فقالت بصوت يختنق:

- حين.. حين طلبت يدي، كنت لا أزال أحبه، لكن أخباره انقطعت منذ أربعة أعوام بلا أمل، العائلة لا تعرف شيئًا عنه، فهو في بلد وأنا في أخرى..

كنت دومًا أرفض كل المتقدمين لي بلا سبب، لكن لا أدري لم وافقت على مقابلتك..

تنهدت وأتبعت بعد برهة صمت:

-أحببتك بحق، بشكل آخر، بطعم آخر وطريقة أخرى لا تشبهه، لقد جئت كملاك بأجنحة حب وأمل وفرحة وكرم، لكنني كنت أتألم..

في كل مرة كنت أحاول افتعال مشكلة فتصالحني أيًا كان صاحب الحق، لقد كنت أغص وأتألم بطيبتك!

لا طالما أردت أن أجد حجة لتركك، تأخرت بالولادة، وباعدت بين الأحمال، واختلقت في كل يوم ألف مشكلة ومشكلة، تطلبت وأثقلت عليك بمزاجيتي، لكنك كنت سمحًا بطريقة مستفزة جدًا..

وحين عاد راسلني وقد كنت بطفل واحد، حادثته وأخبرته أني تزوجت، كان مخذولًا ومتعبًا ومنهكًا فقد ضاقت به السبل هناك، وتزوج من أخرى خانته وأوجعته، كنت مملوؤة بمشاعر حب له، لكني لم أفصح بشيء، واكتفيت بإخباره أن الله عوض كسري فيه بك، وأنك ذاك الرجل الذي يستحق أن يكون ربًا لأسرة وأني أحبك جدًا، رغم أن حبي له كان في تلك اللحظة مشتعل بي..

(كان رأسه يزداد إنتكاسًا ويصر على أسنانه كي لا يصدر صوت أنين أمام وجع خذلانها وخيانتها المقيت، لكنه لم يستطع حبس شهقته)

فأتبعت والدمع ينزف من عينها وجعًا وقهرًا عليه:

-ليس بيدي..!

والله كنت أحارب نفسي لأجلك ولأجل الحرام، والله كنت أمنع نفسي عن محادثته ومراسلته، رغم أنه لا يغيب لحظة عن مخيلتي، وحين كان يرسل كنت أرد باختصار شديد، ولأثبت ذلك ولأمنع نفسي من الميل له أنجبت طفلنا الثاني، قاومته واقتلعته مني بأكمله، حتى بات الحب مجرد ود أَخَوي؛ أُرسل له معايدة جماعية في العيد، أو دعاء في رمضان، أو رسالة من اللواتي أرسلها عقب تحديد خيار تحديد الكل.

وحين تمكنت مني، وتغلبت فيك عليه وعلى وجعي وخوفي، عرفت!

لا أعرف ما حكمة الله من كشف الذنوب بعد أن يعوفها صاحبها، بينما يظل فيها ألف عام مستورًا، لكن هذا ما حدث!

مسحت دموعها بكفيها وقالت:

-والله يا خالد أُحبك وحدك.

وانفجرت باكية مُخبِئةً رأسها خلف ركبتيها محتضنة قدميها بيديها، أما خالد فأنينه ما استطاع أن يلزم رجولته فبكى لأول مرة بصوت مسموع أمام مخلوق على هذه الأرض..

تشققت السماء لهول وجعهما وحيرتهما، تتساءل هي لِمَ تُكشف الخطايا بعد أن نتخلص منها؟ ويتساءل هو لِمَ وضع الله بدربه فتاة خائنة، رغم أنه صام عن الحرام أعوامًا ليجازيه الله بفتاة طاهرة القلب يبدأ معها قصة حب حقيقية يعيش فيها كل جنون المراهقين وطيشهم؟

بعد نصف ساعة من بكائيهما بصورة هستيرية والدموع لا تزال تموج بداخل خالد نهض من مكانه وجلس أمامها مباشرة على الطاولة، يداه كانتا ثقيلتين جدًا لكن صوته ورغم أنينه تحرر قائلًا: خمسة عشر يومًا وأنا هنا أحترق وسجائري، أشرب القهوة وأبكي بفجور..

خمسة عشر يومًا بلا طعام ولا ماء ولا نفس، مات جسدي وتحلل لكن الوجع ما أرخى أكتافي له فأبقاني يقظًا كما أنا..

أتخيلكِ تتحدثين معه!

أتخيلكِ حين تكونين على صدري وقلبكِ يصورني إياه

أن مشاعرك كلها كانت كذبة، وأني كنت كالأبله مجرد رجل يناسب عقلك بماله وهدوئه وشكله!

أنا فقط أريد أن أسألك

متى كُنتِ تفكرين به..؟! حين كنت أنظف عنك البيت كي لا تتحركين من فراشك؟!

أم حين كنت أعمل كالدابة لأوفر لكِ ولطفليكِ كل ما تحتاجونه ولا أنقصكم شيئًا؟!

أخذت تهز رأسها نفيًا وتضم جسدها أكثر وصوت بكائها يرتفع ويزداد حدة عن سابقه، فما استطاع احتمال رعشات جسدها، فك يديها عن قدميها وهو يقول مهدئًا إياها:

-يكفي يا أسماء..

حتى وإن حرقتني تظلين أسمائي التي لا أحتمل رؤيتها إلا باسمة، فلما رفعت رأسها مسح دموعها بيديه وقال وهو يشهق:

-لا يمكنني ألا أحبك..

فرمت نفسها بحضنه معانقة رقبته بكلتا يديها وهي تشد على رأسه نحوها وكأنها تعتذر منه عن أرقه وصداعه وأنينه وهي تردد:

- أقسم أن لا حب قبلك، وأقسم أن لا حياة بعدك

سامحني على ما لم أكن أملكه وتقبل مني كل ما أملكه اليوم أمام عظيم خطيئتي أن صدقتك القول وأن أقسمت ألا أعود لشيء يزعجك أو حتى يعكر صفو خاطرك.

فأجلسها على قدمه وقال:

-والذي نفس خالد بيده، رغم أن الروح قد اقتلعت من جذورها إلا أني لا أملك أمام صدق دمعك أي خيار..

ليتك يا أسماء، ليتكِ تُدركين ما أنتِ كائنته في هذا الخالد، وفي هذا القلب...

إياكم أن تحبوا من أعماق قلوبكم.. حذاري أن تقعوا في فخ حُب مخدوعٍ

"حُب مَخدوع"

"ولكني قُلتها لك" لا تقع في الحُب "رُغمَ كُل ذلك تَركتها بِكُل بلاهة تَحتلك حتى النُخاع. ما الذي أصابَ عقلك وقتها؟! أعُمِيَت عَيناك عن قلبك؟! أم أنّ شيطانًا قد تَخبط بك؟! كُنتَ ثابِتًا بِمكانك لا تَتحدث ولا يُسمع لكَ صوت! كُنتَ تَصرُخ من أعماقك، تَتساقط دموعك ولكن لا تَظهر على خَديك؛ ثابت بِمكانك مُغمض العينين، ساكن الحركة، تَقف ولا تَقف، تَميل ولا تَميل، شيئًا ما يُبقيكَ ثابتًا! لا أعلم إن كانت قِواكَ التي لم أعهدها؟! أم أنّ صَدمتكَ كانت أقوى من أن تُترجم كُل تلك الأحداث إلى دموع، أو انفعالات عصبية تَظهر على تَعابير وجهك! ثَباتك مُخيف لدرجة أنني تَخيلتُ أنكَ فارقت الحياة رُغمَ وقوفك على قدميك! الجميع ظَنَّ أنكَ لا تُبالي لكن أنا.. أنا وحدي من كان يَسمع أنين قلبك، أنا وحدي من يرى بُكاءك الذي يتسرب من قلبك، أنا وحدي من كُنتُ أعلم كم الألم الذي وقعَ بك في حينها."

"صديقي (قيس)؛ لم تَصلني مِنكَ أيُ رسائل مُنذُ مدة طويلة! في كُلِ يوم أتفقد صندوق رسائلي الإلكتروني ولا أجد منكَ شيئًا! أشعُر بالقلق. وتأتيني الكوابيس في كل ليلة، حتى أن شعري بدأ يَتساقط من تلقاءِ نفسه.. أرجو أن تَكون بخير يا صديقي، وعندما تَصلك رسالتي، أرجو مِنكَ أن تبعث لي وتُريح قلبي المُتألم لأجلك.

صديقتكَ المُخلصة (رحيق)"

(رحيق) فتاة في العقدِ الأول من العُمر لها ابتسامة ملائكية، ووجه خالٍ من مساحيق التجميل التي تَستعملها مُعظم الفتيات في سنها، لا بالطويلة ولا بالقصيرة، لديها خدان كحبات التُفاح يَظهر جمالهُما في حينِ ابتسامة ثغرها، ذاتَ عينين يميلان إلى البُني الداكن مع تَقاسيم وجه يُنير لها القمر؛ تَعرفت على (قيس) من خلال إحدى مواقع التواصل الاجتماعي وصارا صديقين يطمئن كلٌ منهما للآخر، فيحكي ما يجول بعقله من ضجيج، أو ما يُبرح القلب من ألم؛ أحبَ (قيس) إحدى الفتيات.. لا بل عشقها حتى أنهُ بدأ يراها في أحلامه في كل ليلة، أعطى لها كُل ما يَملُك من حُب.. أعطاها قلبهُ على طبق من ذهب، ولكنهُ مسكين عُميت عيناهُ عن حقيقتها، فكما أقول: "جمال البدايات يعمي الأبصار، وإن وقعَ الرجُلُ منا فريسة هوى مَخدوع لن تَقُم لهُ قائمة ولو بعد حين" خدعتهُ، بِكُل ما أوتيت من قوة طعنت قلبه بِسكين سامة لا شفرة لها، فصار حُطامًا يُرثي لحاله، فقد

ثقتهُ بنفسه وبجميع من حولهِ، باتَ يَعشق العتمة ونور عينيهِ العُزلة، صامت لكن قلبهُ يَصرخ، يبكي دمًا يُقطر من عينيهِ ليُصب على أوردته، تراهُ صامدًا، لكن كُل ما بهِ يميل، كجبل لا يهتز من الخارج وبداخله هش كحفنة من رماد تناثرت في الهواء.. فقد ثقتهُ بالجميع إلا (رحيق) كانت استثنائية؛ لا يَظهر ضعفه إلا معها ولا تخرج دموعه إلا بين رسائِلها، أحسَ أنهُ وجد بصيصًا من نور يُنير جزءًا صغيرًا من عتمته.. جزء يجعلهُ يَكف عن الصراع الدامي بداخله.

بعد غيبوبة استمرت ثلاثة أيام وهو مُلقى على سريرهِ يستيقظ من جديد؛ يجد صعوبة في فتح عينيه كأنهما التصَقتا بجِفونه، اعتدل في نصف جلسة وهو واضع يديه على رُكبتيه ويحني ظهرهُ إلى أسفل يستجمع قواهُ الخائرة ويُحاول النهوض لبدء صراع جديد بعد غيبوبة لا راحة بها، فقد كان يراها في أحلامهِ.. يراها تُمسك بسكين مَسموم وتَقتلع قلبهُ من جسده فيصرخ ويصرخ ويصرخ لا يُسمع صوته كأنّه صراخهُ وليس بصراخه؟! أهو من يَصرُخ أم قلبهُ الذي أُقتُلِعَ من جسده؟! أيكون للقلب صوت؟! أم أنها مُجرد تخاريف عقل؟! لا أعلم حقًا ما يكون! ولكن ما أعلمهُ أن القلبَ إذا تألم، سُمع.

أعدَ كوبًا من القهوة حتى يَستفيق من غيبوبتهِ وأحس أنهُ يحتاج إلى حديث مع (رحيق) ما إن أمسكَ بهاتفهِ وصلت رسالة (رحيق) لهُ ارتشفَ بعض القهوة وهو يتأمل رسائلَهاً قرأ ما كُتبَ بها.. قرأها بقلبهِ المُنقلع عن صدرهِ لا بِعينيهِ! أغمضَ عينيهِ وتَنهد تنهيدة طويلة انسالت عن إثرها دمعة هاربة من بين جِفونهاً حاول أن يتمالك نَفسهُ فكتب إلى (رحيق) قائلًا لها:

"صديقتي (رحيق) ما زالَ قلبي يؤلمني، ما زلتُ أراها في منامي تَطعنني بسكين مسموم وتقتلع قلبي، كُنتُ ضحية لهوى مخدوع، اعذريني على قلقكِ واعذريني على غبائي، لا أقوى على الكتابة لكِ فقد بدأ جسدي يَنتقم مني، خارت قواي وسقطتُ فريسة سهلة.. أظنُ أنها النهاية يا صديقتي"

أغلق هاتفهُ بعد أن بعث برسالتهِ تلك إلى (رحيق) وعادَ إلى سريره مرة أخرى.. إلى تخاريف عقلهُ التي لا تنتهي.

كانت قد بدأت في تدوين ملاحظاتها عن إحدى الروايات التي تُطالعُها حتى أعلنَ هاتفُها عن رسالة جديدة، أمسكت بهِ لتجد مكتوب على شاشة الهاتف رسالة قادمة من (قيس) قرأت رسالتهُ ما يُقارب الخمسَ مرات فهي وحدها من تعلم حقيقة ما يَمرُ به من ألم، بعد تفكير وقراءة للرسالة أكثر من مرة وجدت الكلمات التي يجب أن تُقال فبعثت له بتلك الرسالة:

"ولكني قُلتها لك "لا تقع في الحُب" رُغمَ كُل ذلك، تَركتها بِكُل بلاهة تَحتلك حتى النُخاع. ما الذي أصابَ عقلك وقتها؟! أعُميت عَيناك عن قلبك؟! أم أن شيطانًا قد تَخبط بك؟! كُنتَ ثابِتًا بِمكانك لا تَتحدث ولا يُسمع لكَ صوت! كُنتَ تَصرُخ من أعماقك، تَتساقط دِموعك، ولكن لا تَظهر على خَديك؛ ثابت بِمكانك مُغمض العينين، ساكن الحركة، تَقف ولا تَقف، تَميل ولا تَميل، شيئًا ما يُبقيكَ ثابتًا! لا أعلم إن كانت قِواكَ التي لم أعهدها؟! أم أن صَدمتكَ كانت أقوى من أن تُترجم كُل تلك الأحداث إلى دموع، أو انفعالات عصبية تَظهر على تَعابير وجهك! ثَباتك مُخيف لدرجة أنني تَخيلتُ أنكَ فارقت الحياة، رُغمَ وقوفك على قدميك! الجميع

ظَنَ أنكَ لا تُبالي لكن أنا.. أنا وحدي من كان يَسمع أنين قلبك، أنا وحدي من يرى بُكاءك الذي يتسرب من قلبك، أنا وحدي من كُنتُ أعلم كم الألم الذي وقعَ بك في حينها."

****

وصلتَ رسالة (رحيق) لكن لم يرها (قيس) كان الوقتُ قد فات، فقد وجِدَ بعد ثلاثة أيام جُثة مُعلقة بأهدابِ نجفة في سقف غُرفته، لم يستطع أن يُجاري ألمهُ الذي احتل جسده، فقرر أن يَترُك الدُنيا بما فيها، يتركها فقط لأنهُ أحبَ بصدق فلم يَكُن لهُ جزاء إلا الطعن بِمُنتصف قلبه، ووجد أسفلهُ رسالة ورقية كُتِبَ بها:

"إياكُم أن تحبوا من أعماقِ قلوبكم.. حذاري أن تَقعوا في فخ حُب مخدوع"

الحياة ما هي إلا أضحوكة كبيرة، ما هي إلا أوجاع وتراكمات؛ لا يهلك بها إلا الشباب،،

"انتحار ميت"

غرفة مُظلمة، وضوء خافت يَنبعث من الشُرفة المواجهة للقمر، يجلس نصف جلسة، واضعًا رأسه بمُنتصف رُكبتيه، صوت شَهيق وعويل يَغمُر المكان، يَنزف أنفه ويؤلمُه صَدره، ألم ناتج عن شُريانه؛ فهو مُصاب بضييق الشراين التي تؤدي إلى ألم وضيق في الصدر، أو ما يسمّى بالذبحة الصدرية التي قد تنتقل إلى العنق، والذراعين، والفك، والشعور بألم في الجانب الأيسر من الصدر.. حرب تَندلع بين عقله وقلبه لا تهدأ.

****

(محمود) شاب في الثاني والعشرين من عُمره، معتدل القامة لا بالطويل ولا بالقصير، خفيف اللحية أسود العينين، مَحموص الجسم؛ نشأ في حروب أهلية تعتريها الكآبة والحُزن؛ في كل مرة يرى بها أبويه يَتعاركان يُقطع حبلًا من نياطه إلى أن صار بلا نِياط! في كل مرة يرى يدًا تتخلى عنه بعد ما أمسك بها بكل ما أوتي من قوة يُكسر أحد أعضائه، كلما صعد إلى قمة الجبل..

جبل السعادة، سقط مرة أخرى في بحور الحُزن؛ في إحدى نوبات قلبه البالي وضيق شُريانه؛ سقط أرضًا مغشيًا عليه بات يَنزف ويضيق صدره ويؤلمُه قلبه، يُريد أن يستنجد بأحدهم يريد لو يقول: "ليحتضنني أحدكم، ليُدثر قلبي أحد، ليُمسك بيدي دلالة على بقائه بجواري، لينتشلني أحدكم من بِركة حُزني التنة إلى بحر سعادته.. لينتشلني أحدكم فقط."

راح في غيبوبة استمرت الليل بأكمله.. منطوي.. يحضُن نفسه بنفسه إلى أن أفاق في صباح اليوم التالي، وجد نفسه مُحاطًا ببركة من الدماء، أصابه الصُداع فأعمى عينيه، لا يقوى على الرؤية؛ بدأ يَتحسس أرضية غُرفته إلى أن وصل إلى طرف السرير أراح ظهره مُتكِئًا، أغمض عينيه وسأل سؤاله المُعتاد: "إلى متى؟!" يَقصُد إلى متى ستستمر الحياة تتلاعب بي؟! إلى متى سأعيش في الألم؟!

لم يَعُد بقلبي مُتسع لكل تلك الهموم، لم يعد لدي نياط آخر ليُقطع! إلى متى؟! بعد ساعة ونصف من الحروب الفكرية التي تدور بداخله، بدأت عيناه ترى الأشياء بوضوح مرة أخرى، بدأ الصداع يتلاشى بعض الشيء، بدأ يستذكر بعض رسائلهُ إلى صديقهِ، التي كان يَحكي لهُ بِها ما يدور به من حروب طاحنة، فكان منها الأتي:

يا صديقي، أكتُب إليك هذهِ الرسائل ويدي ترتجف، ودموعي تَنهمر، ويكادُ عقلي يُجن مِن فرَط التفكير، وقلبي يكادُ يقفز خارج جسدي!

يا صديقي، كل ما يحمِلهُ جسدي يؤلمني..!

كُنتُ نَجمًا ساطِعًا كما أخبرتني يومًا، وأصبحتُ شهابًا مُحترقًا.. كُتلة من الرماد تتطاير في الهواء، أصبحتُ بلا مأوى! كطفل رضيع فقد أُمَهُ ولا يجد من يَحنو عليه، كبيت قديم أصبح مَسكَنًا للأشباح، بعدما كان يَغمُرهُ دِفء العائلة..!

كُنتُ وردًا مُزهرًا كما أخبرتني يومًا، وأصبحتُ شوكًا موجِعًا.. كُنتُ كذلك..!

يا صديقي أفتِني في أمري.. ما حلّ بِنجمي الساطع؟! لِمَ انطفأ؟! وما بالُ وردي المُزهر؟! لِمَ أصبح شوكًا؟!

يا صديقي أفتِني في أمري..؟!

أما بعد:

الكلمة لكَ يا صديقي.. قُل ما شِئت..

فكانت رسالة صديقه إليه كالآتي /

قرأتُ رسائلك يا صديقي وهذا ردي:

"أما عن نجمك الساطع، لم يَنطفئ كما تَظُن، لم يَحترق يا صديقي.. بل هو كما كان يوم أخبرتك!! نجمًا سرمديًا لا يسقط، ولا يتحول شِهابًا مهما دار بِهِ الزمن، ومُنذُ متى النجوم تتحول إلى شُهب؟! لا والله بل تَظل تتوهج، وتُنير الكون أجمع، تُصبح مَرسَى العُشاق في ليلة لا قمر فيها..! يتَخِذونها إلهًا للحُب، وتعيش ما عاشوا، وتبقى وإن افترقوا..!

أما عن وردك المُزهر لم يَكُن يومًا شوكًا موجعًا..!

وكيف يكون شوكًا بعدما كان ذا عبير فائح، ورائحة نفاذة، ومنظرٍ مُلفت يأسر قلوب الناظرين.. يا صديقي ما كان للورود أن تَكون شوكًا، بل قُدِّرَ لها أن تَكون رمزًا للعاشقين؛ تُعبر عن مدى هُيام كلٍ مِنهم للآخر..!

يا صديقي ما زِلتَ نَجمًا مُنيرًا، وسراجًا متوهِجًا وإن لم تَكُن في نظر الدُنيا كذلك..! ما زِلتَ وردًا مزهِرًا يحمل العطور للعابرين بدون أدنى مُقابل..!

يا صديقي أنتَ من العالم، والعالم ينتمي إليك.

سرقت الذكريات بعض الدموع من عينيه لتسقط على كفهِ الأيمن، فيفيق من ثبات الذكريات عند هذا الحد ليعود إلى غُرفته مرة أخرى يقفل بابه ويُرحب بليل طويل لا ينتهي، يُرحب بتلك الحرب الثائرة.

****

بعد أسبوع من تلك الواقعة وُجِدَ جُثة هامدة مُتعفنة في غُرفته التي عاش بها أكثر مما عاش فيما غيرها، وجد مَرميًا على الأرض وبجواره سِكين، قاطعًا شُريانه الأيسر والدم يُغرق المكان؛ تاركًا رسالتهُ الأخيرة.. رسالة ما قبل الانتحار:

إلى عائلتي الحبيبة..

"أرجوكم لا تَلوموا أنفُسكم، ولا تُعلِقوا سبب انتحاري بِكُم! وأنتَ يا أبي لم تُقصر معي يومًا، لم أنم يومًا وقلبي يؤلمني لكلمة قولتها لي! لم تَسقط يومًا قطرة دموع من عينيّ كُنتَ أنتَ سببًا بِها! دائمًا كنت ظهرًا لنا نتكئُ

عليك، وأنتَ لا تُبالي؛ أفنيتَ عُمرك من أجلِنا، لو عِشتُ دهرًا، وقرونًا على أن أردَ جُزءً من فضلك ما رَددت، ولو مدحتُ فيكَ، وقولتُ الأشعار ما وفيتك قدرك، فالتمس لي العُذر أبي العزيز...

وأنتِ يا أمي...

لا تَبكيني دموعًا، ولا تؤلمي قلبك الحنون من أجلي! أنا كما أنا سأعيشُ في قَلبِك، سآتي إليكِ في المنام كل يوم لأمسح على رأسكِ وأُقبلكِ، وأعود إلى مَثواي! سأشتاقُ إلى عِناقكِ، ودُعائك، سأشتاقُ إلى حديثي حين عودتي من سفري الذي يطول، ولهفتي لأُخبركِ بما كان يحدث معي، وما مرَّ بي من مواقف! سأشتاقكِ يا أمي.. أرجوكِ بقدر اشتياقي لا تَبكيني، لا تؤلمي قلبكِ الحنون من أجلي؛ أنا لا أستحق دموعكِ يا أمي! سأذهب عن الدُنيا، وأنتِ لا تَعلمي، ولا يعلم أبي، أيضًا إخوتي لا يَعلمون.. لا أحد مِنكُم يعلم الألم الكائن بقلبي مُنذُ أعوام! جميعكم يرى ابتسامتي لا أحد يرى قلبي المفطور! أعتذِرُ مِنكُم لم أقوَ يومًا أن أبُوحَ لكم بما يؤلمني، لم أقوَ أن أبوح بالألم!

وأنتُم يا أصدقائي...

ربما لم أكُن الصديق الذي تتمنونه يومًا؛ أعلم أيضًا أني قليل الحديث كثير الألم، والشرود! ما سَميتموه يومًا (كآبة مُفرطة) يا أصدقائي لم أكُن أتظاهر حينها، بل كان الحبلُ الأخير يُقطع من نياطي.! كُنتُ أستغيث! كُنتُ أتمنى لو ينتشلني أحدُكم من حُزني! أن يكون لي ملاذًا وحمى من أوجاع الحياة..! لم يَكُن منكم أحدًا يَشعُر بأوجاعي إلا صديقي الوحيد الذي يعلم

حقيقة أمري، وما تُكنهُ الصدور! هو أيضًا مثلي مليء بالأوجاع! يا صديقي، لا تنسني مِثلهم كما نسوني في الدُنيا! تعلم أني أكره الظلام، أكره أن أكون وحيدًا كما عِشتُ وحيدًا لأعوام! تعال لزيارتي ولو مرة كُلَّ شهر! مرة واحدة يا صديقي أشعر فيها بأن وصالك لم ينتهِ..!

أرجوكم لا تأخُذوا صوري وتضعوها على مواقع التواصل الاجتماعي! لا تُظهِروا حبكم بعد ذهابي! لا حاجة لي بهِ وأنا وحدي؛ كُنتُ بحاجة لهُ في حياتي في الدُنيا، لكنكم كنتم أعمياء عني.. أعمياء عن أوجاعي!

وإليكِ أنتِ يا نَجمتي السرمدية...

ربما لم أكُن حبيبًا كما تتخيلين! كُنتِ تُريدين جزءًا لا أملكه.. تُريدين السعادة وأنا لا أعرف لها طريقًا!

لم أكذب يومًا في حُبي لكِ، لم أندم أيضًا بأني أحببتك! كُنتِ وما زلتِ الأجمل بنظري، ما زلتِ حُبي الأوحد وما زِلتِ كُل جميل مرَ على قلبي الكئيب فحلاه! لم أكذب حين احتضنتكِ بقوة وأخبرتكِ بأني "أحُبكِ" ملكتيني، وتملكتيني في حين رؤيتكِ للمرة الأولى! لم أكذب يومًا بحُبي لكِ.. صدقيني لم أكذب!

أتذكُرين حينما قلتُ لكِ سننتحر معًا؟! أتذكُرين.؟! كُنتُ أضحك وقتها، وأُلقي النِكات، لكن ما لم تَعلميه أني كُنتُ جادًا وقتها! الآن أكتِبُ لكِ رسالتي الأخيرة؛ اقرئيها، وعندما تنفضين عن القراءة! سأكون ذِكرى سيئة تودين لو تنسيها!

أقولُ لكِ أيضًا أكملي حياتكِ بشغف وانسيني.. أرجوكِ لا تفعلي كما أخبرتيني وقتها بأنكِ ستُلقين بنفسكِ بعدي.. أرجوكِ أكملي حياتكِ بشغف واترُكيني ذِكرى عابرة!

وأنتم يا من ستقرؤون خبر انتحاري...

أرجوكم لا تُلقوني بالكُفر، لا تقولوا ماذا رأى هذا حتى يُهلك النفس التي منحها لهُ الله.! لا تُلقوني بالكُفر أنا لم أكفُر! مَعاذَ الله أن أكون كافِرًا هي والله الأوجاع أهلكتني فاستهوتني إلى أسفل التُراب.! أرجوكم لا تَستهنوا بأوجاعي لا تُلقوني بالضعف وقلة اليقين بالله.! أريدُكم أن تُدركوا حقيقة واحدة فقط!

أريدُكم أن تُدركوا أن الحياة ما هي إلا أضحُوكة كبيرة لا قِبلَ لنا بها! ما هي إلا أوجاع وتراكمات، لا يهلك بها إلا الشباب (تُحطم أحلامهم، وتُكسر خواطرهم، ولا تجد منهم إلا أن يُظهروا عكس ما يُظهرون) أرجوكم لا تُلقوني بالكُفر، أرجوكم.... انسوني فق

لها بالقلب ما لا يجوز لغيرها، وفي النبضِ نبض على سواها مُحرم،،

"أحبك اليوم جدًا"

حين عاد من العمل، أخبرته أنها قررت الخروج للمشي، وبما أن الجو كان لطيفًا، فدعته للسير معها قبيل عودتهما للبيت، وفي أثناء سيرهما

قال:

-أتعرفين.. علينا العودة للبيت، لأن قضاء المزيد من الوقت معك في جو كهذا وهدوء كهذا سيدفعني للبوح بأشياء أظن من الأولى بي ألا أقولها!

فضحكت:

-لا أنصحك بذلك، تعرف أنني لن أرحمك!

-لا بحق، أريد أن أعترف لك بشيء..

اليوم وأنا في الحافلة التقيت بسمر؛ فتاة كنت أحادثها سابقًا ولأكون أكثر صدقًا كنت أحبها بولع عظيم، واضطررنا للفراق على مضد وقلبينا معلقين حقًا ببعضهما البعض..

حين رأتني حدقت بي بطريقة غريبة، وكأن شوقها كان يدفعها لتضمني بهذه اللحظة..

لكنني صدمت حقًا من رد فعلي تجاهها..

كنت أظن..

أنني سأضطرب، وأنني وإن برد قلبي لغيابها سيشتعل حبًا حين ألقاها من جديد، كنت أظن أن القلب لا ينسى ما ينتزع منه!

لكنني حين رأيتها، شعرت أن وجهك البارد هذا أمامي..

-البارد!

-نعم، البارد.. كي لا يكبر رأسك أكثر..

-هه، حسنًا أكمل وماذا بعد..؟!

-لقد نزلت من الحافلة ومضيت ببرود تام، كأنني لم أعرفها من قبل، ومضيت إليك وقلبي ينبض بحق بكل لهفته، وكأنني طفل قدَّم مناقشة رسالته أمام الملأ وعاد لحضن أمه ليراها فخورة به!

إنها المرة الأولى التي أشعر بها بمدى قوة حضورك داخلي!

بحق، كيف استطعتِ فعل هذا بي؟!

-هه، يعني خير ما تختم به بطولتك الدرامية..

كيف استطعت فعل هذا بي..؟!

حسنًا أعطني المذياع لأجيبك.

-تسخرين..؟!

حسنًا أنا الغبي لأني أخبرتك بهذا..

ثم قال ساخرًا: "أعطني المذياع لأجيبك"

ضحكت وبعد برهة قالت:

-أتعلم يا وليد..؟!

أنا أخاف حين أسمع منك شيئًا كهذا.!

-تخافين! ألا يفترض أن يجعلك ذلك مطمئنة أكثر!

- كلا، أنا لا أخشى أبدًا فكرة أن تخون، لا أخشى أن تمل مني، أن ترحل..

فقد اعتدت أن أتجاوز سريعًا كل شيء، وكنت أسير دومًا على هذا المنوال

لكن..

حين دخلت أنت لحياتي بهذا الشكل من الحساسية، وعزة النفس، وهذا القدر من الحب

بدأت أشعر أنني مسيرة معك للأمام، أي لا يمكنني أن أخذلك أبدًا..

أن أهملك، أن أوجعك، أن أحزنك..

وفكرة أنني قادرة عليك..

وعلى غلب كل حزن وضعف وعجز وقهر يسكنك..

جعلتني أحسُّ وكأنني السبب لأي شيء قد يمس قلبك، فتراني أحملك بين يدي كأنك طفلي الصغير..

-أكره أنكِ تستضعفيني لهذا الحد..!

-لا أستضعفك، بل أرى ضعفك..!

وبين الفكرتين فرق كبير..

أن أستضعفك يعني أن أرى أنك عاجز فأجور عليك، وهذا ما يفعله الضعيف إذا ما استطاع أن يمتلك ضعف أحدهم، فيكسره..

أما أن أرى ضعفك، فهذا يعني أني جزء منك يراك كما ترى نفسك ويعلم كل ما تحاول إخفاءه عن الجميع، ولربما حتى عن نفسك..

فأتعامل معه حتى تسير للأمام بكامل قوتك!

-لكنني أيضًا قد أقسى عليك، وقد أؤذيك..

-سأعذرك..

بأنك ترغب بإثبات أنك قادر على أذيتي..

بل وسأساعدك وأريك ضعفي الذي لم تره يومًا، لتنتشي بذلك سعادة..

ثم سأمضي وكأننا يومًا لم نكن..

-تقصدين أنكِ لن تتأذي بفراقي!

-لا أظنك ستدرك المعنى الذي أريد قوله..

لكن

سأحاول شرح ذلك..

سأتأذى لأنني سأتجاوزك، لأنني لن أقف عندك، لأنني بعد مدة سأعاني نسيانك..

أوه..

تنهدت ثم وضعت رأسها على صدره وقالت:

-قدرما يؤذيك الشعور، يؤذيني ألا أشعر..!

-ضمها وقال:

-أخشى عليكِ من قوتكِ هذه..

قد تكسرك ذات يوم..

-لقد فعلت..

لقد فعلت ألف مرة، بعد كل تجاوز كنت أقترفه..

إنني لا أشعر بأي شيء..

رفعت رأسها وقالت:

- لكني على الأقل أحبك اليوم جدًا..

ابتسمت له، فقال:

-ما الذي يجعلكِ تفعلين ذلك؟!

قالت وقد أمسكت يده وتابعت السير:

-يعني، ربما لأنني أحب حبك لي!

ضحك وقال:

-تحبين حبي!

-نعم، جدًا..

كثيرًا ما أحطت بالحب، الإعجاب..

وكثيرًا ما كان الحب يصلني بطريقة مبالغ فيها، لكنني كنت دائمًا أصد كل شيء، وإن بقيت كنت أكرر دومًا للجميع أني لا أحب المبالغة بالحب، لا أحب الغزل الكثير الهدايا والكلام.. هذا يشعرني بالاستفراغ!

لكني لأول مرة أشعر أني أحب أن يحبني أحدهم..

أحب عينيك حين أفعل شيئًا مجنونًا أمامك فتطالعني بلا كلمات..

حديثك الذي لا يتوقف إن كان معي ولي، وكيف تصحبني لكل فكرة تخطر لك وتشرحها لي..

كيف نخوض معًا نقاشات لا تنتهي حتى ينفد الوقت منا..

أحب صوتك البارد في بداية حديثنا ثم كيف يحول دافئًا حين ننتهي..

أحب كم تحب صوتي..

كيف تنظر إليّ بعدما تقول شيئًا على الملأ وكأن ابتسامتي تحتضنك..

كيف تنظر إليّ بتركيز محاولًا أن تستجمع قواك كي لا تتشتت بين النظر إليّ وسماع ما أقوله!

أحب فكرة اعترافك لنفسك بأني جزء منك.. يفهم كل شيء بك بلا أن تقول أي شيء..

وقفت أمامه وقالت بشقاوة:

-وأحب أنني أستطيع أن أمارس كل جنوني معك، وأكثر من ذلك أحب محاولاتك لمنعي وإيقافي التي تنتهي بعجزك!

ضحك وقال:

-أوتذكرين حين أصريتِ على أن أركب الحافلة معكِ لموقف الباصات، ثم لحقتني حين نزلت..

وبقيتِ تلحقين بي..

يا إلهي، لا أستطيع تصديق أني عشت ذلك بحق!

ضحكا بلا توقف:

ثم قالت:

-كيف كنت تهرب، وتقول لي توقفي توقفي، سأشتكيك لشرطي المرور!

-وكيف حين ركبت بسيارة الأجرة، فتحتها وركبت خلفي!

يا إلهي كم كنت مجنونة يومها..

-وحين كنا نتودع على باب المشفى، تدخل فتجدني أسير بجوارك، ثم تعاود إيصالي مجددًا وأعود..

-كنت أشتهي وقتها لو بإمكاني ضربك..

-طبعًا لا يمكنك..

إنك تخاف مني..

-هه، هذه الجملة اللعينة!

كنتِ دومًا تسألينني وأنتِ تضحكين أتخاف مني؟ أتخاف مني!

ولا أدري لمَ لم أقل لكِ يومًا لا..

قالت وهي ترفع حاجبيها:

-لأنك تخااف..

ابتسم ثم صمت لبرهة وقال وهو يتأملها:

-ومن لا يخاف امرأة مجنونة مثلكِ، يا أجمل طفلة بالعالم..

لكن..

رفع حاجبيه وقال:

كل هذا.. ولا تحبينني!

قالت:

-وهل قلت شيئًا كهذا!

غبي أنت!

أوأبدو لك كـ امرأة تفعل شيئًا لا تحبه!

قلت لا أخاف خسارتك، لا أخشى خيانتك

لكني وبالتأكيد أحبك اليوم جدًا..

-اليوم ها...؟!

رحمني الله منك، ومن جنونك!

إنما الحُب للرجال،،

"ابن رجل"

بينما كانا جالسين في صالة المعيشة، يشاهد أحد مبارياته، وتستمع للنص المسموع لأحد الروايات الأجنبية، ناداها فلم تجب، فرمى الوسادة بالقرب منها وقال بعد أن أبعدت السماعات:

-أحضري لي كأس ماء، وجهزي الطعام.

ضحكت قائلة:

-أحضر لنفسك كوب الماء، ومن ثم قل بعد إذنك حضري الطعام، لأرى إن كنت سأفعل ذلك أم لا..

صدم من إجابتها فقال:

-عفوًا!

ماذا قلتِ؟

قالت:

- أعيد إن لم تسمع، لكن وجهك يقول غير ذلك..

ابتسمت ثم أعادت السماعات ونظرها للرواية.

فقال غاضبًا وقد أقفل التلفاز:

-أتحدث معكِ..

كانت تسمعه ورغم ذلك لم ترد.

فرمى وسادة أخرى أمامها، فرفعت نظرها له وقالت: يبدو أننا سنتعب كثيرًا في تعديل سلوكياتك، صحيح!

وقف مصفقًا:

-أأفتح يدي للعقاب!

ضحكت وقالت:

-سأسامحك هذه المرة..

ضحك وقال:

- تبًا لكِ، تحركي أحضري كأس ماء وحضري الطعام..

فنظرت له باستنكار وهي تضحك:

-سلامة قدميك! أم.. أقول سلامة عقلك!

ازدادت حدقتا عينه اتساعًا، لشدة استنكاره لجوابها، فقالت:

- لا أدري من منا يجب أن يرتدي وجهك الآن!

أتطلب مني وأنا جالسة بجوارك أن أذهب وأحضر لك كأس ماء!

أقوم أنا عن دراستي وتظل أنت جالس لتشاهد تلفازك، بربك!

قال:

-وما العظيم في ذلك!

منذ أن خلقنا ونحن نرى أمي تحضر لأبي كل شيء!

وحتى إخواتي كذلك!

لم أرَ يومًا إحداهما تنظر إليّ بهاته الوقاحة!

فقالت:

-هؤلاء أخواتك عزيزي..

قال مغاضبًا:

-يا إلهي!

أتخيل أن يأتي زوج أختي ويقول لي إنها قد ردت في وجهه كما تفعلين، والله لجعلتها تنسى اسمها..

فضحكت ساخرة:

لا تخف، لن تفعل أختك ذلك..

أما أنا فأخي يحضر الماء لنفسه بنفسه، يأكل الطعام ويرفع الأواني للمطبخ وحده، يستيقظ فيرتب فراشه، يتحمم فينظف الحمام كله وراءه..

بل ولأزيدك من الوقاحة شطرا، فإنه حين يريد أن يحضر الشاي لأجله أو القهوة، يسألني وأختاي ويحضر لنا معه..

لذلك أنا أفعل..

ولا أنصحك أبدًا أن تذهب إليه مشتكيًا، فتعود برأس مثقل بالتوبيخ!

قال:

– هه، والله يا عزيزتي إن كان إخوتكِ أولاد امرأة، فنحن أولاد رجال..

قالت وهي تبحث في سجل هاتفها عن اسم أخيها الأكبر: وماذا يفعل أولاد الرجال بهذا الحال!

قال:

– يكسِّرون رؤوس نسائهم، إن خرجوا عن أمرهم..

ضحكت ووضعت سماعة الهاتف على أذنها:

– ها جهاد كيف الحال؟

–اسمع أخي يقول لي أحمد إن أولاد الرجال يكسرون رؤوس نسائهم، إن خرجن عن أمرهم، فتعال لتتفاهم بالأمر..

–حاضر، حاضر.. بانتظارك

كان مبحلقًا بها فقالت:

– حين يحضر أخي مساءًا أرني ماذا سيصنعه ابن رجال مثلك، برجل مثل أخي حين أقول له أن تقول عنه ابن امرأة!

قال:

- أعطيني هاتفكِ ذا.. أعطيني إياه..

فرفعته وضربته بالحائط، قائلة:

- إياك أن تفكر بتهديدي ذات يوم بشيء!

الطعام الذي كان يمكن أن أحضره لك بكرم أخلاق مني حين تقول بعد إذنكِ، بعد الآن لا تحلم به..

اقترب منها وشدَّ على يدها موقفًا إياها:

-إياكِ أن تظني أن أخاكِ أخافني، ستحضري الطعام مجبرة وإلا..

فقالت وهي تنظر لوجهه ببرود:

- وإلا ماذا عزيزي..

كاد أن ينطق فقالت وهي تنظر لأصابعه: وإلا..

أصبحت ابن امرأة!

ضحكت بزاوية فمها، ثم بحركة سريعة- إذ كانت متدربة بأحد الفنون القتالية سابقًا- لَوَت يده وسحبت يدها منه قائلة:

-أوصاني أبي قبل الزواج وبحضور إخوتي أن أخفض جناحي لك، فأحملك هونا، وإن تطاولت لا أتطاول عليك لتظل..

اقتربت منه وقالت موشوشة:

- لتظل رَجُلي!

ثم عادت تجلس على كنبتها وهي تقول:

-لكن أعلم أنني لا أحترمك خوفًا منك، لا لأنك ناقص الرجولة مثلًا!

حاشاني أن أكون على ذمة شخص لا أضعه فوق قوم الرجال تاجًا..

بل لأنني لا أخاف سوى من الذي خلقني..

صمتت قليلًا وقد عادت لهدوئها وعاودت التنقل بين صفحات الرواية، ثم نظرت له وقالت:

- ما بك؟

لم يعجبك رد فعلي ها..

كنت تريدني أن أهرع للمطبخ خوفًا منك، فإن حضر أخي شكوتك له باكية..

نظرت له باستياء وقالت:

-ما أريدك أن تعرفه هو أمر واحد..

ابنة الرجل لا تلك التي تحمل الدنيا مجبرة وتتعرض للظلم والقهر والذل ثم تصمت كي ترفع كلمته!

بل تلك التي تصون نفسها وتترفع عن الخطأ، ثم لا تقبل أن تُهان، وقد علمت أن بظهرها رجل حقيقي، يقلب الدنيا لو مسها أحدهم بسوء!

وأخت الرجال ليست تلك التي تخشى إخوتها وتخافهم، بل التي لا تهاب شيئًا ما داموا بظهرها!

وبنبرة ملأها عتب:

وامرأة الرجل تلك التي تشعر بأنها عزيزة جدًا لديه، فإن أخطأت صوب لها، وإن أساءت تجاوز عنها وإن تحدثت أسره حديثها..

امرأة الرجل تلك التي تنال الاحترام والتقدير الكامل في بيت زوجها..

اقتربت منه وقبلت يده التي أمسكها بها، ثم رأسه وقالت:

- وأنا والله ما عرفتك إلا رجلًا..

نظر إلى الأرض ثم توجه لغرفته، وأغلق الباب..

كانت تعلم أنه يشعر بالغيظ منها، وأن الرجل لا يحب أن يرى نفسه على خطأ أمام زوجته، وأنه بكل الأحوال لا يرى في طلب الماء ذاك الأمر العظيم، إذ أنه يراه أمرًا بديهيًا قد اعتاد عيشه في أسرته..

تركته قليلًا

ثم طرقت الباب عليه ثلاثًا ودخلت:

-ماذا ألم تجع؟

لم يتحدث معها، فاقتربت منه بيدين مرتبكتين:

-أنا جائعة جدًا..

أحمد..

أنا جائعة جدًا..

رفع نظره نحوها وقال عاقدًا حاجبيه:

-لا أريد أن آكل، لتفعلي ذلك وحدكِ..

ثم أنزل بصره

فظلت واقفة أمامه، وهي تعبث بيديها بارتباك..

بعد برهة رفع نظره لها، فوجد دموعها على خدها وهي تحملق به، فأرخى عقدة حاجبيه وقال مسرعًا:

- لا، لا، لا

شدها من يدها وأجلسها على حجره وقال وهو يضمها ويمسح دموعها:

-قلنا بلا بكاء!

فقالت وهي تبكي:

- أنا أحبك..

فقال:

-تحبينني أم جائعة!

ها.. أعرفكِ لا تبكين إلا لأجل معدتكِ..

فضحكت..

ضمها وقال:

-هيا تعالي لنأكل..

وقفت فقال معاتبًا لها:

- تعرفين أني لا أقصد إهانتكِ، وتعرفين مقامكِ لديّ، فلا داع لكل هذه المشكلة التي اختلقتها!

كان بإمكانك أن تختصري هذا كله، لو تحركت دقيقتين!

قالت:

- ألست أنا الناقصة عقل ودين!

فمالكم تنظرون بذلك إن لم يعجبكم قولنا، وتطالبوننا بالكمال والتفهم حين تخطئون أنتم!

ضحك، فقالت بدلال:

-لا والله لن أحضر لك الماء، بل وستحضره أنت لي، إن لم أشأ التحرك.. ولن أحضر لك طعامًا ولا أفعل أي شيء إن لم تقل لي بعد إذنك مولاتي..

ضحك وقال:

- يا سلام!

قبل قليل كانت بعد إذنك فقط!

فقالت وهي تضحك من قلبها على تعابير وجهه:

-والله أنت الرجل، عليك أن تتحمل صغر عقلي.. ألست طفلتك الصغيرة..

حملها وسار بها نحو الصالة قائلًا:

-أمركِ مولاتي، أجمل طفلة بالعالم كله..

فلما وصل هناك قال:

-أين الطعام!

ألم تقولي أنكِ حضرته!

غطت وجهها بيديها وقالت:

- كنت أريد أن أصالحك..

ضحك عليها وأنزلها قائلًا:

- تصالحيني.. شقية أنتِ..

هيا هيا حضريه بربكِ، أتضور جوعًا..

فمشت نحو المطبخ خطوتين ثم قالت:

- أولًا، قل بعد إذنكِ مولاتي..

فضحك وقال:

- تبًا لكِ، حااضر

بعد إذن جنابكِ مولاتي..

عادت إليه وقبلت خدّه ثم قالت:

-من عيني يا أحلى رجل بالعالم..

أخذ يلملم قطع الهاتف، بينما ذهبت لتحضر الطعام فأخذت بطريقها هاتفه وكتبت لأخيها رسالة: كل شيء هنا بات على ما يُرام..

إن أردت أن تزورنا الليلة لنسهر معًا؛ فنحن بانتظارك

أدامك الله لي..

إنما القلم يكتُب ما ترويه الأنفُس،،

"قصص لا تكتمل"

"تُولد الأفكار في الظلام، وتتبخر عند الصباح"

كان عادل مؤمنًا جدًا بتلك المقولة، ويعرف جيدًا هذا الجو_الوقت الذي تأتيه فيه الأفكار ويرتب أحداثها_ لكن الليلة قرر أن يكتُب إلى أن يستنزف كل ما بعقله، النصف الأخير من الليل، الناس نيام، لا توجد ضوضاء، حتى أن الكلاب لا تنبح ولا يُسمع لها صوت.

دخل إلى المطبخ وأعد له كوبًا من القهوة السادة_كعادته يستلذُ بمرارتها_ ثم اتجه إلى غرفته حيث مكتبه ومفكرته التي أهدتها له حبيبته!

كانت الأفكار تُزاحم رأسه؛ الكثير منها.. لكنه لا يعلم كيف يبدأ وينهي هذه الأفكار، فكر أن يبدأ في الكتابة دون أن يضع نهاية لقصته بمخيلته! لكن سرعان ما حضرت مقولته التي يؤمن بها :

"لا تكتب قصة لا تعلم نهايتها"

تراجع عن بعض الأفكار التي لا يعرف لها نهاية.

ارتشف رشفة قهوة وأتبعها بلفافة تبغ، أغمض عينيه بعمق وبدأ في تخيل الأحداث.

الآن يرى الفكرة تولد وتنضج بداخله ويعرف تمامًا كيف يبدأ السطر الأول منها.

فتح مفكرته وأمسك بقلمه وبخطٍ صغير أعلي يمين الصفحة كتب اليوم والتاريخ ومن أسفلهما الساعة. لا يعلم كيف سينهي قصصه، ولكنه ربما يعبر هذا الجسر عندما يصل إليه.

بخط كبير كتب في منتصف الصفحة:

الـتـعـلـُق

"أشد ما يؤلم القلب.. ما يُعييهِ؛ هو التعلق، إن تعلق القلب ليس لهُ بريء. ليس لهُ نجاة.. تلكَ المُضغة على يسارك إن تألمت ما اشتكت، وإن اشتكت ما أنصفت؛ تتعلق بأحدهم كما يتعلق مصباح على هيئة نجمة بأهداب نجفة تسيرُ الناظرين؛ وحينما يشتكي ألم الفقد تُصبح تلكَ النجمة باهتة لا يَنظُر إليها أحد، لا تُلفت انتباه أحد، كنجفة صَدئة في غُرفة مصح نفسي مهجور؛ رُغمَ كونهِ مهجور، فإنهُ يسكنهُ مريض نفسي واحد، أو كما أطلقوا عليه!

_ كان النومُ عاقًا، عاصٍ لا يأتيك، أراكَ تنام أكثر مما تستيقظ!

ما الذي حل بك..؟! تبدل حالك؟! أم أن الكوابيس ما زالت تُراودك؟!

_ نعم، ما زالت.

_ أخبرني إذًا عنها؛ أهي كما كانت؟!

ذاكَ الرجُل الضخم الذي لا يَنفك عنك؟!

أم تلكَ الأفعى التي لا تمل من مطاردتك؟!

أم هو البئر الغائر بالماء، تقع به ومن ثُم تجد نفس ذاك الرجل الضخم يُمسك برأسك ويدفنُها في الماء؟!

أخبرني عنها لِمَ أنتَ صامت هكذا..؟!

_ أما عن هذهِ المرة، فهي مُختلفة بعض الشيء، قد تَغيب عني أصدقائي الثلاثة!

_ إذًا أخبرني ما رأيت.

_ حسنًا أُخبرك.. أخبرك وأنا أعلم أنهُ من بابِ الفضول لديك لا أكثر، لا تكترث لي بقدر فضولك في معرفة ما يجول بعقلي وقلبي،

حسنًا أُخبرك:

أما عن هذه المرة رأيتُ قلبي يُقلع عن جسدي كما تُقلع أعجازُ النخيل عن الأرض؛ رأيتُ رجلًا يرتدي عباءة بيضاء كالتي يرتديها الطبيب؛ نحيف الجسد، جاحظ العينين، تَبرُز أنيابهُ كـ أنياب الذئب، ذو أصابع طويلة تنتهي بأظافر كمخلاب؛ رأيتهُ يَشُق صدري نصفين ويَنتزع قلبي عني بلا أدنى رحمة؛ يُمسكهُ بِكلتي يديهِ ويرفعهُ لأعلى بِمُقاربة عينيه ويَبتسم! يَنظُر إلى

قلبي ويَبتسم وهو يُلوح برأسهُ يمينًا ويسارًا؛ ثم يُقربهُ إلى فمهِ المليء بالأنياب ويلتهم جُزءًا منهُ بِنهم، يَتلذذ ذاكَ الوحش الثائر بِنهش قلبي؛ بدأ الدمُ يسيل من بين أنيابهِ، وتَتسع عيناهُ؛ قبل أن يُلقي تلكَ الضحكات المُتقطعة، ويدور في شكل دائرة من حولهِ؛ والغريبُ بالأمر أنني أرى كُل تلك الأحداث دون أن أُحرك ساكِنًا..! أراهُ يَلتهم قلبي ويَنهش أورِدتهُ ويُلقي القهقهات العالية دون أن يتحرك لي جِفن!

ثُم بدأ يَتحدث بكلام غير مفهوم البَته! يَصيح بأعلى صوتهِ دون أن أفهم كلمة واحدة من صياحُه!

ثَم عاد ليقف عند مؤخرة رأسي قائلًا لي بِلكنة أقرب لرجل عجوز يُخرج الكلام بِشق الأنفس: "مرارة قلبك تَرويني"

ثُم عاد مرة أُخرى ليُطلق تلكَ القهقهات العالية ويدور حول السرير الذي وجدتُ نفسي مُلقى عليه. ثم توقف مرة أُخرى عند مؤخرة رأسي وهو يَنظر لي ويَبتسم قائلًا لي مرة أُخرى:

"ألم تسأل نفسك لِمَ لم تَتألم وأنا أقتلع قلبك من بين أحشائك؟!"

هممتُ أن أُجيب مُتلعثِمًا بالكلمات حتى تابع حديثُه قائلًا:

"لا.. لا تُجبر نفسك على الحديث، أُجيبك أنا عن كل تساؤلاتك؛

كيف لكَ أن تتألم؟! كيف لك أن يزورك الألم وأنتَ تصرُخ في كل ليلة ولا يُسمع لك ألم؟! ما نالك من الألم في الدُنيا كان كافيًا أن يُبقيكَ ساكنًا وقلبك يُقتلع!

أتعلم أمرًا؛ قد التهمتُ قلوبًا كثيرة، وشربتُ من بين ثنايا أوردتها الكثير والكثير من الألم، لكن لم يَستهوني قلبٌ مثل قلبك، لم أتلذذ يومًا بمرارة ألم القلوب كما تلذذتُ بألم قلبك ذاكَ، فيه صراعات عديدة، وذكريات كئيبة، وأُناس حية وآخرين قد ماتوا، ولكن ما تلذذتُ به حقًا هو ألم (الفقد) أنتَ اعتدتَ الفقد حتى صار لهُ منجم بقلبك ومن حُسن حظي أنا من اكتشف ذاكَ المنجم الغائر بـ ألم الفقد الذي يَرويني."

ثَم أمسك بقلبي مرة أُخرى وأخذ يلتهم مِنهُ قطعةً قطعة! حتى التهمهُ عن آخره، وبدأ يصيح مرة أخرى ويترنح يمينًا ويسارًا؛ تُصيبهُ النشوة حينما يُغمض عينيهُ وهو يلتاكُ بقايا قلبي بين أنيابِه، يُدندن ويرقُص قائلًا:

"وجدتُ مرارة الفقد في قلبك.. وجدتُ ألم الغياب بين ثناياه، وجدتُك! وجدتُ المنجم المفقود، وجدتُ الكَنز الضائع.. وجدتُ الفقد"

قال الأخيرة وهو يعضُ على أسنانهِ بكل قوته، وجحظت عيناهُ عن آخِرِها ثم أردف قائلًا كلِماتهِ الأخيرة:

"الآن تموت.. الآن قد انتهى أمرُ قلبك.. أنتَ تموت، وأنا أبحث عن كَنز جديد"

ثم بدأ يختفي كما يتبخر الماء عند غليانِه إلى أن انتهى أثرُه؛ ووجدتُ نفسي مُغمض العينين قد ذهبت روحي إلى بارِئها، ودخل أُناسٌ عليهم من الغضب والجنون ألقوني بكيس بلاستيكي أزرق، وأخذوني بعيدًا... بعيدًا إلى مكان لا أعلمهُ وألقوني بكل قسوة طريح الأرض هلاوس وغادروا.

_ أهو حقيقي..؟!

_ نعم حقيقي، كل ما رويتهُ لك كان حقيقيًا ولا يَمتُ إلى الخيال بصلة.

_ ماذا عنك الآن..؟!

_ كما ترى قد اقتلعَ قلبي.. أنا الآن جُثة خاوية من القلب.

_ يُرثى لحالك.

_ بل يأخذهم الفضول.

_ تشعُر بأنها شفقة.

_ بل لا أشعر.

_ ماذا عنك الآن..؟!

_ جثة خاوية من القلب.

اكتفى عادل بهذا القدر بعدما علِمَ أنه لن يستطيع أن يكمل القصة، كانت البداية جيدة، لكنه لا يعلم كيف يستمر!

أخرج لفافة تبغ أخرى وأخذ منها نفسًا عميقًا بشراهة، ثم اقتطع الورق عن المفكرة وكوّره وألقى به في سلة القمامة، وأطلق بعض الشتائم كما هو حاله دائمًا، عندما يعجز عن إكمال قصة ما!

استلقى على فراشه غاضبًا ثم أطفأ النور ونام.

في الصباح وبعد أن تناول قهوته الصباحية بدأ يستعيد خيوط قصته أمس وأدرك أنها لم تكن سيئة إلى هذا الحد!

هلع إلى سلة القمامة يبحث عنها وجدها فارغة!!! قد تخلصوا منها كما هو الحال دائمًا وما يفعلوه مع بداية كل صباح.

شعر بضيق شديد!

هو الآن لا يستجمع كلمة واحدة مما كتبه بالأمس، فقد الرغبة بالاستمرارية.

لا بأس ربما يحاول الليلة أن يكتب قصة جديدة.

****

ليلة أخرى تزدحم فيها رأسه بالأفكار، لفافة تبغ أخرى تكادُ تحرق أنامله، والكثير من القهوة، البيت هادئ تمامًا، الفكرة بداخله تصرخ، تطلب أن تخرج للنور، أن تُكتب بحبرٍ ولو كان باهتًا.

بدأ يُفكر ويحدث نفسه قائلًا:

"حجرة مظلمة.. بيت هادئ.. وأنا وحدي؟!"

ها هو قد وجد عنوان قصته لليلة!

بدأ في كتابة اليوم والتاريخ والساعة كما يفعل دائمًا، وأتبعهم بمنتصف السطر بالعنوان:

وحـدي بالـظـلام

"كان يُفضل العُزلة، وفي العُزلة كان يُفضل العتمة، وفي العتمة كان يفضل السكون"

****

"الرفض أسوأ شعور سيمر عليك، رفض الأهل، الأصدقاء ورفضك لنفسك"

كانت تلك أولى الكلمات التي يخطها أمجد في مقاله الأسبوعي بالجريدة التي يعمل بها.

بدأ ينسج الحروف ويخلق شخصية وهمية يتحدث معها ويُلقي لها ما يدور بعقله.

في الحقيقة هو لا يكتب مقالًا أسبوعيًّا ليُرضي رئيسه في العمل، بل يكتب ما يعيشه حقيقة.. ما يدركه في الخفاء ويكتمه عن العالم، في الحقيقة هو يكتب حاله!

وضع عنوانًا لمقالته بمنتصف الصفحة:

لستُ مُعجزة

ما زِلتُ أُقاوم، ما زِلتُ أقِف رُغمَ انكِساري، أذكُر أنَ قَدَمَي اِنكَسَرتا ذاتَ مرة فأخَذوني إلى المشفى وقام الطبيب بتجبيرِهما لي، ثم انكسرتا مرة أُخرى وبعدها أخرى، وبعدها لم أحسب عدد المرات من كثرة ما سقطت، ولكنّي بَعد كل هذا ما زلتُ أقِف..! لا أدري إن كان هذا بفِعل قواي التي لم أعهَدها، أم هو القَدر..؟! ولكن في كُل مَرة كُنتُ أسقط فيها كُنتُ أرى طَيفك يُشجعني للوقوف من جديد، كُنت أسمع تشجيعكِ، ونبرة صوتكِ، ولمعة عينيكِ، وكنت أستلهم مِنكِ قوتي..

كُنت أقف بعد كل مرة فكيف لي ألا أقف؟! وطيفك يَمُد لي يد العون؛ يساعدني لنُهوضِ مِن جَديد.

ماذا عنكِ؟ إنني أرى بعينيك نظرة غير التي اعتدتُ أن أراها، هُناك شيء ناقص..! أُخبركِ أنا به...!

اللمعة! نعم تِلكَ التي كُنتِ تَشعِرين بِها، لم تعد موجودة، لقد ذهبت مع الأيام..

بدأ كل شيء ذاتَ نهار لم أحسب له حُسبانًا، وقعتُ في الحُب دون أن أُدرك وجهلي كان عظيمًا لدرجة أنّي لم أُدرك ماذا عليّ أن أفعل، مرت الأيام وراء الأيام والظلام يزيد تدريجيًا، والنورُ الذي بداخلي يقل رويدًا رويدًا، لا أكذبكِ حديثًا أني لم أخرج من هذا الحُبّ، بل إنني خَرجتُ ولكن لم أستطع مُجابهة الحياة وأوجَاعها، ما مررتُ به أضعفني جدًا، لم أعد ذاكَ القوي الذي تَظُنين، ولا ذاكَ الذي كان يشِعُ أملًا ذات يوم..

أعلم جيّدًا ما ستقولين؛ فأنا أحفظ تلك الردود عن ظهرِ قلب، تلك التي نقولها كي نُطمئن غيرنا ونواسيهم، تلك الكلمات التي هي بمنزلة اليد التي تنتشل كل فردٍ من الظُلماتِ، ولكنها للأسف لم تعُد تُجدي معي!

-إِذًا ما الذي يُجدي معك..؟!

-لا أعلم صَدقيني لا أعلم، لا أعلم إن كان حُضنًا أو تربيته على كَتِفي المُصاب، أو دُعاء بالغيب..؟!

وربما هدية لم أحسب لها حُسبانًا، رُبما تشجيعة كتلك التي نُخبرها لصِغار كي يستمرّوا، تلك التي نمدح فيها فِطنتهم وبراعتهم، أو رُبما حُب صادق، ربما اهتِمام ممن نُحب، لا أعلم صدّقيني..؟!

-أنا هُنا أفعل كُل هذا لك، أحتضنك و....

-لا بأسَ عليكِ؛ أنتِ لن تستطيعي البقاء طويلًا على كُلِ حال، لكِ حياتكِ وميدانكِ وساحة معاركك.. لا بأس.

-ولكِني...

-ولكِنكِ سَتَعِديني بشيء الحياة لن تسمح لكِ بتحقيقه، لكِ حياتكِ، فلا تلتفتي.

-أرجوك دعني...

-أدَعِكِ ماذا..؟! أدعكِ تُساعديني أليس كذلك..؟! لا لن أسمح لكِ بذلك، أتعلمين لِمَ..؟!

لأني أحتاجُ مُعجِزة.. مُعجزة يا صديقتي؛ هل أنتِ مُعجزة..؟!

-لَستُ مُعجزة ولكني سأحاول.

-حسبُكِ مِنَ المُحاولات..! قَلبك مِثلَ قلبي يَئن..

-لماذا..؟!

-لِأن الجَوف مُظلم، ولعنة الخوف تأسِرني، وأشباح أحلامي تُطاردني؛ صرخت حتى بُحّ صوتي وما تبقى لي مِنه هو فحيح مُخيف..

لِأني صِرتُ مُخيف!! أرتجف كالذي أصابهُ المَس، وأبكي كطفل تاه عن والديهِ، وأُهلوس بكلمات غير مفهومة، وأضحك بصوتٍ عالٍ بدونِ سبب، وأُحاول إيذاء نفسي كثيرًا، لا أحد يُجازف بِمد يَده لِمثلي وهو يعلم أن ما سيُعانيه لإخراجي سيكونُ عظيمًا..

لا بأس على وجهكِ مِن الحُزن، ولا عليكِ من الشعور بالعجز، أنا بخير ألا ترين..؟! إنني أبتسم.. ألا ترين ابتسامتي ها..؟!

ما هذه الدِموع بربك..؟! توقفي يا صديقتي توقفي..

إنني بخير، لا بأس عليكِ.. هيا دَعيني أحتضِن دِموعِك.

-لا بأس عليّ ولكن البأسَ كُله بداخلك، لا بأس عليّ أنا بخير ولكنّ الخير يهجُرك، دموعي لا شيء أمام وجعك، بربّك من مِنّا الذي يحتاج الحُضن هذا..؟!

-أتعلمين..؟! أنني أحتَضُنكِ كي لا أشعر بالعجز أكثر، كي لا أُشفق على حالي، أحتضنك لأني لا أستطيع البوح بأني أريد أن يحتضنني أي أحد..

لا أستطيع القول بأني خائف.. لا أقوى عليها يا صديقتي..

-إِذًا فَلتفعل..

-لا.. لا أُحب أن يُشفق عليّ أيُ أحد يَكفي شفقتي لنفسي

-ليست شَفقة بل هو حُب..! ألا يَحقُ للأصدِقاء أن يُحب بعضهم الآخر..؟!

-ولِماذا لم يظهر إلا الآن بعدما أظهرتُ ضعفي وحاجتي..؟! لِماذا بعدما بُحّ صوتي وأنا أطلب أي شيء ينتشلني مِن الألم الذي يَضرب روحي بلا رحمة، لِماذا بَعدما تَحول كُل شيء بداخلي لخراب..؟! ها لِماذا..؟! لا بأس عليكِ، وآسف على غضبي، أريد الصمت أرجوكِ.

-سأجلِس بهدوء إلى جِوارك..!

-حَسنًا؛ لمرة واحدة سأسمح لكِ بهذا..!

-دَع الصَمت يبتلعنا في جوفهِ إِذًا؛ دَع يدي تُدثِر رَوحك مِن الألم يكفي الذي مرّ عليك دون شيء يُدثّرك، لا بأس عليك أيضًا يا صديقي..

توقف عادل للحظات وهو يُمسك بقلمه وينظر إلى الاسطر أمامه. بدأ يقرأ ما كتبه من البداية، بداية لا بأس بها لكن النهاية مستحيلة، هي أشياء قد تكون مر بها القارئ ولن تدهشه!

وضع قلمه وقرر أن يخلد النوم. في الصباح قد تُباغته فكرة جديدة.

في الصباح تناول الفطور وكوب القهوة الذي يتبعه لفافة التبغ، وقرر أن يكمل قصته.

القصة...؟! أين هي؟!

أخذ يتفحص المفكرة ورقة تلو الأخرى ولم يجدها.

هل يكون قد تخلص منها دون وعي...؟!

الآن لا بد من كتابة قصة جديدة.

****

قرر الذهاب لدكتور نفسي لعله يجد علاجًا لهذيانه ويعلم أين تذهب القصص في الصباح!؟

قال له الطبيب:

-أنت تفرط في أخذ أدوية الاكتئاب، وهي التي تجعلك تتصرف بغير وعي كأن تتخلص من قصتك وأنت لا تدري!!

كان يعلم جيدًا أن هذه الأدوية التي يتعاطاها لها تأثير بالغ في تصرفاته. لا سيما أنه مريض انفصام، ويعاني الوسواس القهري.

لكنه لم يتصور أن يصل به الحال إلى أن يتخلص من قصة كتبها وهو لا يدري!!

قال عادل للطبيب:

-حسنًا يا دكتور سأتخلص من تلك الأدوية إذًا، وجودها يقلقني.

قال الطبيب:

-أعتقد أنك لا تحب ما تكتب لذا لا شعوريًا كنت تتخلص منه.

رفع عادل حاجبيه في غير رضى وقال:

-حسنًا سأحاول أن أعتقد ذلك.

غادر عادل عياده الطبيب وتوجه إلى البيت دون أن يخبر أحدًا أنه عاد لزيارة طبيب نفسي، كانت والدته تقول له..

-الطبيب النفسي لا يعالج الجنون، بل يصيب المرء السليم به.

في المساء، قرر أن يكتب قصة جديدة وفي تلك المرة أخذ حذره أن يحافظ على الورق بداخل مذكراته وألا يضيعه مجددًا.

أشعل لفاقة تبغ وأخذ منها نفسًا عميقًا ثم كتب:

" الأسوأ من أن تكون حزينًا ألا يكون بمقدورك أن تبوح بذلك"

بدأ يختلق شخصية جديدة،، وفي هذه المرة قرر أن تكون فتاة وأن يكون اسمها 'نيهان'

وكتب بمنتصف الصفحة عنوانه:

الآن أحـي

-ما الأمر..؟!

-تعبتُ يا نِهان.. تعبتُ من كل شيء، لا أعلم لِمَ أبدو مُنهكًا إلى هذا الحد! لا أعلم إلى أين هربت السعادة مِني! أُدرك مدى ألمي الكائن بِقلبي، ولكني أجهل الذي يُتعبه بالتحديد!! كَتنهيدة عميقة بلا حُزن، كَصُراخ بلا ألم، كَمنزل بلا أُم..!

-يا صديقي، لن يَمسح أحد عنكَ خيبتك حاول أن تَعتبرها مُجرد حقيقة لم تَتوقعها فحسب.

-حقيقة!! أيُ حقيقةٌ تِلك؟!

حُزني يَقتلني، أموت في اليومِ مائة مرة! ومع كل هذا يبقى حُزني ممنوعًا.

-ممنوع!! وكيف يكون..؟!

-هو ذاكَ الحُزن الذي تكون تفاصيله بداخلنا، ما يحويه القلب ويؤلم الروح.

-لم أفهم بعد!!

-هُنالكَ أحزان ممنوعة؛ كَحُزني ذاك يؤلم روحي ويحويه قلبي، كائن هو بي وليس بحولي، لا أقوى على إظهاره للنور ولا أقوى على البوح به، تَدور تفاصيله داخل قلبي فقط لأن ما حولي لا يَتسع له.

اعتدلت في مجلِسها بعد أن وضعت يدها على خدها الأيمن قائلة:

-أخبرني أكثر أودُ سماعك.

-حسنًا.. أنصتِ جيدًا:

كأحزان الروايات التي نَقرؤها لكنها ليست خيال كاتب؛ بل ما نعيشه حقيقة.. ما نُدركه في الخفاء. فالرواية التي لا نحكي تفاصيلها تَبقى حبيسة أجسادنا نَفرح بها في القلب، ونحزن لها بالقلب أيضًا، نَعيشُ تفاصيلها مع أنفسنا، ونموت فيها مع أنفسنا.

-ولِمَ كل هذا..؟!

-لأن هذه ليست مجرد رواية فحسب.. بل هي عالمنا الذي نحياه.. العالم الذي أخفيناه عن الجميع.

عقدت حاجِبيها ونظرت لهُ بتَساؤل قائلة:

-أتقول بأنك تحاول أن تبقى حيًا لبعض الوقت..؟!

-ولكن يا نِيهان ما لم أبُح به لا تفترضيهِ!!

لا تفترضِ الموت، ولا تفترضِ الحياة. أنا صاحبُ المعركة وأنا من أُحدد.

-ما زلت عنيدًا كما أنت، صديقي فهد؛ كلنا أسوأ مما نبدو عليه، الحزن يغمر القلب؛ والجسد أصبح سقيم.. يقولون بأنك مريض واحِدة، لا يعلمون بأنكَ مَريضُ وِحدة.

-لكن.. لكن ما ضُر لو احتَضنتُها وانتهى قلقي..؟!

-حذرتك كثيرًا من الوقوع في الحب.. ألا تقع فريسة الهوى.

-مع كل هذا الحذر أحببتها..!

أأخطأت هي؟ أم أن لِمثلي يُكتب الألم؟!

ألا يَحقُ لي أن أحيا بالحُب ويَحيى بي؟! ما ذنبي أنا إن خرجتُ للدنيا وبين يديَ السلاح؟!

-بلى يا صديقي يحقُ لك أن تَحيى بالحُب ويحيى بك، يَحق لك العيش بسلام و....

قاطعها قائلًا:

-كُنتُ أنتحر.. حياتي بدونك لا معنى لها.. لكن أعدكِ...

-تعدني بِماذا..؟!

-أن أتجاوز كل هذا الضرر، أن أحيى من جديد، أن أترك خلفي كل هذا الخراب وأعدو لحياةٍ أفضل، أعوض ما فات فيها... لقد كبرت يا نِيهان وهرمت بفعل الألم..!

-يا صديقي، نحن نكبر بفعل الضرر!

ها قد أمسكت بطرف الخيط، الآن تستطيع الخروج للنور من جديد، تخرج لحياة جديدة مع قلب يُحبك بصدق.. لا تلتفت خلفك وامضِ إليها فاتِحًا قلبك بِحُب.. واعلم أن كل من تورط في حزنك سيُسخر لهم الله من يؤذي قلوبهم ولو بعد عُمر.

أغمض عينيه وهو ينظر لأعلى. لتسقط مِنهما قطرة من الدموع يَنجلي بها الظلام مُعلنة عن بدء حياة جديدة لطالما حلم بها.. حينها أمسك بقلبه وأغمضَ عليه وقال:

-من ها هُنا نبدأ...

أخفضَ رأسهُ وهو ينظر إلى قلبه وأكمل قائلًا:

-لا بأس تحتاج فاصلًا صغيرًا... تعبت.

شعر فجأة بثقل في أنامله وأنه لا يستطيع أن يكمل تلك القصة، وكعادته قرر الذهاب إلى الفراش

وفي الصباح...

بالطبع أنت تعلم أنه لم يجد القصة!!!

أخذ يدور في حلقه حول نفسه ويرد

.. عفاررريت،،،، مسكووون،،،، هذا البيت مسكون

كتبت ثلاث قصص واختفواْ كأنها لم تكن

أخذ يردد بكلمات غير مفهومة:

" أنا لست مجنونًا.. البيت يسكنه العفاريت "

لا تهتم بالمسافات.. أنا هُنا،،

"لا تُخاصم اليد، بل القلب الذي رفض"

"ارحلْ

فلقد اعتدت أن يرحل عني كل من أحببتهم، وأنا أحبك!"

****

افترقا قبل ثمانِ سنوات من يوم زفافهما بحجة الجنسية!

افترقا لكنه لم يزل عالقًا في صوتها وهي تقول:

"ثق أنني لو كنت أجد في بقائنا أملًا لبقيت."

أعوام جاء ليتقدم لها، لم يخبرها بشيء، كان ذاك الرجل الذي يناسب قواعد عائلتها بالتمام، جنسيته الذي أثبت بتلاعب ما أنه يلتقي بجنسيتها تاريخيًا، وأنه تجنس فيم بعد بجنسية البلد التي يقيم بها، أخلاقه واهتمامته التي كانت دائمًا تخبره بما يريده منه والدها، شكله وهيئته وتمسكة بمفهوم العائلة والعادات والمبادئ، وأخيرًا وضعه المادي وطبيعة عمله..

قابله الوالد، ولم يخبرها بعد بشيء، فلما دخلت عليه لم تقل اسمه، ولم تتوقع أن يكون هو!

قالت في سرها: "من الشبه يخلق أربعين!"

جلست معه، تحدثا ولم يخبرها بعد بشيء

كان كل شيء فيه مختلفًا سوى شكله، واسمه، وارتباك نبضها!

لم يمازحها، ولم تبتسم!

كان لقاءً ملبدًا بالذاكرة والنظرات واعتراك الوقت بالخوف..

في الزيارة التالية، وحين بدأ الوالدان بتحديد المهر والشروط، كان رد فعله غريبًا، إذ قال لوالدها كل شروطك مجابة، لن نفاوض إن كان ما سنشتريه قربكم!

قالت لوالدها إنها تريد مجالسته، فأذن لهما في الغرفة المجاورة المتصلة بمجلسهم، فلما جلسا معًا، قال:

-خيرًا إن شاء الله؟ ألديكِ شروط أخرى!

نظرت له بعمق بلا أن تنبس بحرف، فظل ينظر لها محافظًا على هدوئه، لكنه لم يقاطع نظراتها قط.

قالت بعد مدة:

-جلال!

أنا لا أعرف إن كنت هو أم لا، لكنك تشبه رجلًا عرفته بالماضي

لكنه لم يكن بمالك ولا مظهرك ولا جنسيتك ولا فصاحتك وعلمك!

كان ينظر لها بنظرات غريبة، فقالت:

-إن كنت هو أو لم تكن، فلا أريد لهذه الحكاية أن تكتمل!

- قبل أهلك!

-كل شيء اختلف، اليوم أرفضك أنا!

- ألم ترفضي لنكون بالحلال! وها قد كدنا أن نكون فما المانع؟

- تحدثنا لمَ لم تقل أنك أنت؟!

-ألم أعدك أنك لن تكوني لسواي؟!

لم أتصور أنكِ ستشككين بي!

قالت بغضب:

-لمَ لم تقل؟ لمَ كنت جديًا بهذا الشكل البارحة!

لمَ الآن تتحدث بهذه اللكنة؟ ارحل يا جلال فـ أنا لم أعُد أنتظرك؛إرحل ارحل..

فانا لم اعد انتظرك، ولا أملك شيئا رائعا يستحق بقائك؛ لانني ما زلت اعاني مخاوفي ، ولا انت ولا احد يعلم ما الذي دار بي، ولا احد يعلم عن تلك الاطوار التي عشتها بين ما كنت فيه وما اصبحت عليه. ولا احد يمكنه ان يتقفي أثر تلك الفجوه الكئيبه من الوحده والحزن بداخلي؛ تلكك الفجوه التي حاصرتني وامتصت من روحيروحي. ليس هناك ديباجه للتجاوز ولا يوجد خارطه للتغيير ولا يوجد معالم لها هكذا هو الامر...

ستصحو يوما مدركا انني قد عبرت الي الجانب الاخر أو لم اعبر!!

فانا هنآ اصبحت كومه من الحطام البالي،

صدقني لا جدوي من البقاء مع شخص محطم ويأئس مثلي. لن استطيع ان اكون كما تريد، ولن اصبح المرأه التي تمنيتها

وانا يا جلال مثل الاطفال يبكيني القليل ويغمرني بالسعاده الكثير...

ساصبح تلك المرأه التي تاخذ ولا تعطي، لا تبالي لما تمنحه لها وكل ما تفكر به هو كيف تأخذ ما يروي رمقها دون النظر اليك،

وانت مثلك مثل أي رجل عطش للحديث اللين الذي لن استطيع ان امنحك اياه.

فليذهب كلا منا الي طريقه من الان، فهذا الافضل لي ولك،

وما الفائده من أن ننبش قلبينا؟!

لن تطيقني ولن تتحمل نوبات غضبي وميزاجيتي المتقلبه في اليوم مئات المرات،

وانت.....

وانت ي جلال ستمنحني كل ما لديك من حب حتي تبقي علي شعله حبنا منتقده

ستفعل ما يعجز عنه الرجال حتي ترضيني وتشبع نهم جوعي الي الاحتياج، وفي المقابل لن تستطيع مواساتي

اتعلم لم؟!

لانني لن أبوح بكل ما يحمله قلبي بين أحضانك، لانني امراه لا تقوي علي التعري واظهار كل ما بداخلها دفعه واحده...

انت لست سيء ي جلال لاكنني لا اثق باحد ولا نيه لدي ان اثق باحد مجددا، كل الذين وثقت بهم خذلوني... لا اقول طعنوني بظهري بل بمنتصف قلبي.

ابتعد عني انا امرأه يغمرها الخوف من كل حدب، يميتها الواقع ،وقد تحييها ذكري عابره.

-ولم كل هذا؟!انا معك عدت من أجلك.. لأجل حُبكِ. وعدي لكِ لم ولن اخلفه،ساحبك اليوم وغدا وفي كل وقت .مزاجيتك تلك تستهويني، وغضبك يطفئ النار بقلبي، حتي ان عطائك الممنوع يغمرني بالحب! انا احبك بغض النظر عن حالتك النفسيه او ما مررتِ به من خيبات، فقط أعطني الفرصه وسأصلح كل شئ...

-ماذا ستقدم لي؟!لم يعد يغريني شئ.

-ساقدم لكِ الحب.

-لن تجده مني.

-يكفيني بقائك.. والنظر الي وجهك.

-لن تُطيق.

-بل لن أُطيق غيرك.

-لم افهم!!

-علقت بكِ دون إرادةٍ مني.

-لا وقت للألغاز أرجوك، حتي انني لا اطيق ان اكمل حديثي ذاك.

-أقول لكِ انني عالق بكِ، قلبي لا يتوقف عن مناداتك، تلك النغزات التي تئن به تنزف حروف إسمك.

-أبله.

-ضميني؛ ضمة حبيب لحبيبه بعد طول غياب.

-إبتعد.

-سأموت.

-وما ذنبي انا؟!

-وما ذنبي انا ايضًا؟!

-يُدمي قلبي.

-لنفترق اذن من الان.!؟

-وماذا عن حبي لكِ.

-اقتلعني من بين ضلوعك.

-احببتك انا بإرادتي كيف أقوي علي إنتزاعك؟

بعد ما فعلته من اجلك تُريدين أن نفترق بكل هذه السهوله؟

إنظري.... انظري الي عيناي واخبريني انك لا تحبينني

_لا اقوي علي ذلك.

اذن لم العناد، انا احبك وانتِ تحبينني، لم الفراق يا سلوي؟

كادت أن تنفجر بكائًا، أو في الحقيقه تنفجر به هو لولا ان أشار اليها باصابعه علامه انه يكمل حديثه :

-تعلمين كان من الممكن ان تكون الحياه اكثر جمالا لو أُتيح لنا أن نبذل الحُب خالصًا وسخيًا، سواء كان ذلك بعزوبه وشاعريه او بفضاضة وسخرية ،وفي كل الحالات الحب ماكر يعود في حالٍ مختلفة في كل مره بلا قيد. كان من الممكن أن تكون الحياه أشد نضاره لو كان بمقدورنا أن نحول كُتل الوحده ، والخوف ،واليأس التي تحتل قلوبنا الي دخان، والدخان الي غيمة والغيمه الي مطر خريفي يمحي عن الذكريلت بعض الحزن. لو ان القلب فك قيود عواطفه، وتخلي العقل عن مخاوفه، لو ان (احبك) تخرح من قلبك بمذاق مختلف عن الخوف.رُبما يكون السعي اليكِ أنضجني؛ وباتت الكلمات تخرج مني بلابقة. لكن في النهاية انا جلال الذي يحبه قلبك.

صمتت قليلا ومن ثم نظرت إليه بارتباك وقالت:

-لا أدري ما الذي علي فعله حيالك.. ؟! أقصد أمام حُبك الكبير لي، أتري إنني أستحق كل ذلك؟!

- بلي تستحقين كل الحب؛، بل ان الحب خلق لاجلك.

- لا ادري لكن قلبي ليس مطمئنًا.!

إقترب منها، أمسك بيدها وقال بود:

-انا احبك.

أخذت دموعها تتساقط بغزارة ،مسحت بعضًا منها، تنهدت ومن ثم أردفت قائله :

- تعلم يا جلال ؟! انا لا احتاج الحب،صدقًا..لا أحتاجه.

احتاج الأمان والطمأنينه... الطمأنينه فقط.

إمنحني الأمان ولا تقل أحبك، طمأن قلبي ولا تتغزل بي.

ما حاجتي للحب إن كان قلبي يخلو من الأمان؟ ما حاجتي بك ان لم تمنحني إياهُ يا جلال؟!

تعلم ما زلتُ لا أستوعب كيف يكون الانسان ملتزمًا تجاه الاخرين بحزافير اللطف وإتقاء شر إيذاء القلوب، لكنه مع ذلك لا ينجو مم خيبة أو إيذاء قلبه حسرة.

إمنحني الطمأنينة، وإمتلك قلبي وسط باقة من الورود.

اقترب منهت اكثر، ضمها اليه وقال :

-وانا احبك ي سلوي،

يقولها قلبي لا لساني، طمأنينناً، وامانًا ،ودفئ

هونت عليها تلك الكلمات حديثها معه بعض الشئ. ثم مزاحه ومحاولاته لتبرير موقفه وتهدئتها، وهكذا سارت الأمور بصورة طبيعية حتى تحددت ليلة زفافهما!

كل شيء كان على ما يُرام، حتى جاءت هذه الليلة!

دخلت البيت، بينما كان يطلب الطعام، بدلت ملابسها سريعًا، وارتدت بيجامتها، ثم أزاحت كل الورود عن سريرها وأطفأت الشموع، طرق باب الغرفة عليها فقالت:

-انتظرني في الصالة.

انتظرها هناك، فخرجت له بعد دقائق وجلست على الكرسي المقابل، أمسكت ظروف الطعام وقالت:

-بدل ملابسك حتى أرتب الطعام!

نهض وقال:

- حسنًا.

بعد قليل، عاد، وهو يمسك بيده ملفًا بلاستيكيًا أبيضًا وضعه على الأرض أسفل الكنبة ثم جلس بهدوء، وبدأ بتناول الطعام!

كانا بالحفل بكامل العفوية، لكن كليهما كان يخفي بداخله ما يريد قوله، من ماضٍ يحتاج النبش وحاضر لا بد أن يترتب..

لم ينبس أحدهما حرفًا طيلة فترة تناولهما الطعام، كلا..

بل لم يفعلا ذلك طوال فترة الخطوبة!

لم يسأل أحدهما الآخر عن شيء، لم يتحدثا طويلًا، لم يتقابلا كأي خاطبين، كانت شهور الخطوبة كأنها مجرد طور يمران من خلاله ليصلا لشيء ما، وإجابة ما!

حين أنهت الطعام قالت:

- ستتحدث غدًا فيم تحمله في هذا الكيس، أنا متعبة جدًا أريد أن أنام!

-فلتفعلي إذًا!

- ستنام بالداخل وسأنام هنا.!

فابتسم قائلًا:

-ثمان سنوات وأدعكِ تنامين وأغادر!

نظرت إليه وقالت:

-لتظل إذًا..

جلست على الكنبة التي يجلس عليها، ثم وضعت رأسها بحجره متوسدة يدها وقالت:

-لا تتحرك، أريد أن أنام..

لم يقل شيئًا، أطفأ الضوء البرتقالي بجواره وأخذ يمسح بكفه على رأسها بصمت.

لم يكن يرى ملامحها جيدًا، لكنه كان يشعر وكأنه يحتاج في هذا الوقت أن يشبع من فكرة أنها حقيقة باتت بين يديه!

لذة امتلاك الحب!

لذة امتلاك الفؤاد!

نعم، هذا ما يحدث حين يودع أحدهم بشخص ما، جسد ما

كل خيالاته، ومشاعره، ورغباته!

ليكون في احتيازه احتياز لكل العمر الذي ضاع، وكأنه يقف على أعتاب بدايته، يخطو معه الخطوة الأولى..

كان يمسح على رأسها بخفة بالغة، وبطء شديد، بينما سقطت دمعته سهوًا عند مدمع عينها..

ابتسمت، ثم قالت:

-جاءت في مكانها!

أزاحت وجهها ونظرت إليه، بينما ظلت أصابعه على جبينها، فقالت:

-أتعرف..

يطلق المرء بعض المسميات على مشاعره، فتظل محفوظة بهذه الصورة داخله حتى يخبر شعورًا أكثر قربًا من مفهوم المسمى لديه ونظل هكذا نتدرج حتى نبلغ أشده ونعتنق ذاك المعنى بكل جوارحنا. .

أذكر حين أخبرتك إذ كنت توصلني من مدرستي البعيدة للبيت وأنت تسير خلفي بأن وجودك هذا يشعرني بأمان غريب!

كانت تلك اللحظة الأولى التي أعيش بها هذا النوع من الأمان، أمان مغلف بأيدي شريك لا وصيّ..

ابتسم لها وقال:

-قلتها مرة ثانية حين كنت أظل معك على الهاتف طوال طريقك من المعهد وفي المواصلات حتى تخبريني أسمع باب البيت..

أذكر كيف اتصلتِ بي وقلت:

-أشعر بأمان أكثر غرابة من سابقه، وحين طلبت منك وصفه أكثر، قلتِ كأن يدك بيدي وكتفك يجاورني طوال الوقت!

ضحكت ثم قالت:

-أما هذا الذي أشعر به الآن، فكأنك قد ابتلعتني بداخلك!

كأنك تحملني بحق وترفعني بعيدًا عن قلق الأرض!

أمسكت بيده وقالت مغمضة عينها:

- أشعر بجوارحي تمتلئ بيقين وجودك، إنه أمان آسر!

هه، أشعر وكأن جوارحي قد أتلفت من فرط عظمة الشعور!

احتضنت يده وعادت للنوم مجددًا، أقل من دقيقة فإذا به يضع يده على كتفها، وترفع نفسها لتضمه..

لم تتمالك قلوبهما وجع مسافة الثمان سنين فاختصرته دموعًا على أكتافهم، فكلما حاول أحدهما التوقف، أعاده الآخر لذلك!

بعد وقت لم يدركاه ولم يدركهما، تمكنا من الابتعاد تسحبًا، بيد أن أيديهما لم تتمكن من فعل ذلك!

تسحبت نظراتهما كذلك حتى وصلت لكفه!

حينها، تعلقت نظراتهما في تواصل أشبه بالعتاب..

أمسك يدها ورفعها له:

- أنا أمسكها مجددًا!

قالت:

-لكن بالحلال!

مسح دموعه وقال:

-لقد مر وقت طويل..

كنت أخبئ في جعبته ما لا تتسع لسماعه أذناك..

يقولون إن المرَّ نعيشه باعًا بباع وذراعًا بذراع، لكنه حين يمُرُّ نكيله جملةً..

لكنني لم أفعل!

لا أزال أحتفظ بأوجاعي كلها حيّة يبكيني في أي لحظة ما يطري منها على خاطري..

ترك يدها وقال:

- ولأجل هذا سأحرم عليَّ كفك!

سحبت يدها منه، وقالت وهي تجمع شعرها على أحد كتفيها:

- لا تخاصم اليد بل القلب الذي رفض، والعقل الذي صدَّ الباب في وجه الرجاء!

حكَّ رأسه، ثم أخذ يمسح على وجهه بقوة ثم صرخ في وجهها:

- لماذا فعلتِ ذلك؟

جفلت لعلو صوته المفاجئ، فاستمر بالصراخ:

-ماذا فعلتُ لأستحق ذلك!

كنت آتيك من مدينتي لمدينتك كل يوم!

أتداين من أمي وأبي وإخوتي وأصحابي، لأتمكن من المجيء إليكِ!

كنت أسهر طوال الليل وأخرج للعمل بلا نوم، لأن مزاجك معكر في تلك الليلة!

كنت أقف حين أشعر بالنعاس وأبدأ بالسير في الغرفة كي لا أغفو قبل أن أتأكد أنكِ قد فعلتِ!

حاربت أهلي، عملت وأنا أدرس ليلًا مع نهار لأتمكن من أن أستأجر بيتًا بجوار معهدك لأكون مطمئنًا عليكِ!

لقد..

بصوت منكسر وقد رأى دموعها:

- لقد..

وقف وقال وهو يبكي:

-أقسم أنني؛

لم أنم ليلة إلا والدموع في عيني..

أقسم أني لم أدع شخصًا إلا وحدثته عنكِ، لم أمر بشيء، لم أنظر لنفسي بالمرآة، لم أبتسم إلا وكنتِ تغرسين خنجركِ في حلقي!

عانيت، بت في المشفى ليال..

كنتُ ألهث باسمك..

دعك من الحب جانبًا، كنت أتمزق حاجة لكِ، لا شيء..

لا شيء في هذا العالم كله قادر أن يسدّ فاجعة فقدك!

لقد بترتِ روحي بكل ما آتيتك من حب

ولماذا؟!

وهو يقترب منها بصوت أشبه بالهمس:

- لأني أمسكت يدكِ!

أغمضت عينها ولم تجب، فصرخ بأعلى صوته: - أجبيني!

أأذقتني كل هذا لأني أمسكت هذه!

أمسك يدها بقوة وأخذ يهزها:

ردي عليّ!

فتحت عينيها وسحبت يدها منه وجلست بعيدة عنه وقالت بنبرة تحدٍ:

-لأشياء كثيرة شرحتها لك..

رفعت صوتها:

-قبل أن تتذكر أني تركتك.. تذكر أني قد كويت قلبي الذي أحبك وأرادك بالنار ليتخلى!

إن كان للفقد وجع، فلاقتصاص المرء من نفسه أوجاع مضاعفة!

هذا الذي كنت تعيشه، كان أمانًا أنعم به!

هل لك أن تتخيل قسوة الأيام دونك!

هل لك أن تتخيل وجعي إذ يلتف حولي آلاف الرجال فلا يطأ باب القبول لدي أحد عداك وحدك!

هل لك أن تفهم مرارة أن هذا الوجع كله الذي قاسيته لثمان سنين كان..

هه، اختياري!

مرض؟

أقسم بالله أني كنت مريضة بك!

أحادثك كل يوم، في كل طريق، وكل وجه حتى أستعيد كلماتك فتلوي بفقدك معدتي وجعًا، ورأسي صداعًا، وجسدي إنهاكًا!

لكنني

مسحت دموعها بكف يدها وقالت:

- لكنني لم أشعر لحظة أني قد أخطأت..

جلس على الأرض بالقرب منها:

-كنتِ عاتبتيني!

كنتِ أنذرتيني!

بشر، نحن بشر!

الله يغفر..

نظرت له وقد عقدت حاجبيها:

-من كان ليوقفنا ونحن بهذا القرب!

من كان ليوقفنا ونحن نتجاوز حدود المكان والزمان حين نكون معًا!

لقد فكرت..

فكرت كثيرًا بالأمر ثم انتفضت!

لقد جازفت بك وبقلبي معك، لِألّا أعيش لوعة الندم!

لا تعدد تضحياتك على أنها أمر عظيم!

أنا ضحيت بروحي حين قبلت أن أحادثك، وكنت أنت الرهان!

لقد سلمتك روحي بلا اختبار لك!

أنا فتاة!

يعني لمجرد أن أحببت بتُ مذنبة

ثم إن حادثتك بتُ ساقطة

ثم إن جالستك خطيئة وعار

هذا كله بلا أن أقرب الحرام!

حجتي به أن الله مطلع عليّ، وأنني لا أخطئ..

مطمئنة بأن الله سيسترني ما دمت أخافه وأضعه أمام عيني

ما دام الحب أمرًا إلهيًّا لا علاقة لي به!

لكن حين أمسكتها

فزعت!

رأيت نفسي أنزلق معك في شباك مصيدة أنت لن تقبلني بنهايتها!

لم أفكر بالأمر طويلًا..

أنا أعلم أني لا أقوى عليك، لذلك صددت الباب في وجه الحرام..

هزت رأسها وهي تقول:

- نعم، في وجه الحرام لا وجهك!

قال:

- لم يكن الأمر يستدعي هذا كله!

قالت وهي تهز أكتافها:

- لا أستطيع..

أنا لا أستطيع أن أطمئن والله غاضب مني!

أخاف، أخاف كثيرًا أن أعيش ذنبًا كهذا وأتحدى إذ أدرك حرمته!

وأخاف أكثر من فكرة التمادي بالرغبة!

نظر إليها بصمت، فنظرت إليه بقلة حيلة، ثم رفعت أكتافها وهي تقول:

-أخاف!

ابتسم لها والدمعة تقف على باب مدمعه، فانهارت بكاءًا وغطت وجهها بكلتا يديها.

قال وهو يمسك بذراعها:

-تعالي هنا..

فقالت وهي تبكي:

- لا أريد، أنا أكرهك..

جرها من يدها:

-تكرهيني، فوق هذا كله!

فتعثرت دموعها بضحكة، رفع وجهها وقال:

-أتعلمين؟!

كنت أريد أن أتزوجكِ..

فقط أن أتزوجكِ، رغم أني أشعر بتحامل فظيع عليكِ..

وظننت أن هذا سيدوم أعوامًا..

بل وخطر في بالي أن أنتقم، أن أذيقك الذي أذقتني كله

لكن أقسم لكِ، أني ما أن أرى وجهك حتى يحل الله عليَّ حبًا لا أملك حياة أمامه!

نظرت له بعينين وديعتين وقالت:

-سامحني، أرجوك!

ابتسم لها وقال:

- لقد جرّني الله إليكِ منكفئًا على وجهي، كان الطريق صعبًا جدًا وطويلًا جدًا، لكن جزاءًا وجهك في آخر الطريق ينسى المرء كل ما قاساه..

سامحتكِ..

ابتسمت له بحب ثم قبلت وجنته وقالت:

- أحبك..

نظر لها، فاحمر وجهها، صمت قليلًا ثم قال:

- يا سلام..

أشعر الآن وكأنني مغفل، ثمان سنين أنساها باعتذار وقبلة منكِ!

ضحكت، فقال متحادقًا:

- لا لا، هذا لا ينفع معي

لن تُنجى من فعلتك بهذه السهولة!

سأعاقبك!

قالت بدلال:

- أعرف أني لا أهون عليك..

قال وهو يمسك يدها بقوة ويجرها:

-بل ستهونين!

وقف عند معطفه أخذ حزامه وربط به يديهما.

قالت:

-ماذا تفعل أيها المجنون!

قال:

- لقد قررت، ستظل يدك مربوطة بيدي هكذا حتى أشعر أني قد ثأرت لنفسي منك..

ضحكت عليه وقالت:

- مجنوون!

قال:

-لا بأس، المهم أن أعاقبك..

فضمته وقالت:

-والله أحلى عقاب ذا الذي لا يبعدني عنك أبدًا..

ابتعدت عنه وهي تضحك بشراهة، فقال وهو يعقد حاجبيه:

-تسخرين مني ها..؟

نظرت له وهي تحاول كتم ضحكتها فقال:

-تعرفين أني أكرهكِ صحيح؟

فقالت بدلال:

- لا بل أعرف أنك تحبني جدًا وجدًا وجدًا

فنظر لها نظرة حقد وقال:

-بل أكرهكِ.. جدًا وجدًا وجدًا

فقالت وهي تقابل نظراته بما يشابهها ممازحة: - حسنًا، إذًا وأنا أكثر!

ضحك ثم ضمها وقال:

- كان غريبًا أنكِ لم تسأليني عن شيء طوال فترة خطوبتنا!

فقالت:

- كنت أشعر في كل مرة أن الكلام لم يحن وقته بعد!

توجست قليلًا من صمتك وهروبك الدائم، لكن غمامة طمأنينة كانت تحتضن قلبي..

أنت لا تعرف أبدًا كم تبدو عظيمًا بعين قلبي.. لا تعرف الي اي مدي يُحبك قلبي وأحبك انا.

-تحبينني حقًا؟!

-أنتم الرجال لا جدوي منكم.. لا جدوي من أدمغتكم، لا أعلم لِمَ ينقلب الحال الان؟ انا المرأة يا سيدي وانا من أحتاجُ الي تلك الكلمة أكثر منك. لكن حسنًا العناد لن يُفيد علي كل حال. أخبرك يا حبيبي بما يكنه هذا الصدر لك؛ تسألني: أحبك؟! نعم أحبك.. أحبك جدًا. لكنني علمتُ الآن وفهمتُ أخيرًا أن حبك لي مختلف. يختلف عن حب الآخرين لبعضهم، يختلف عن حبي لك حتى! أتعرف.. كنتُ أغضب كثيرًا، لماذا لا يفاجئني؟ لماذا لا أرى الجنون في أفعاله؟ لم كل هذا التحفظ والاتزان؟ أليس الحب هو الجنون والمغامرة؟ أعترف.. تأثرت بتجارِب الآخرين الغبية، تأثرت بالمسلسلات الخيالية، تأثرت بالآخرين! آلآن آمنت بتميزك، أحببت اختلافك، اقتنعتُ بحكمتك. ليس عليك أن تشبههم، ليس عليكَ أن تكون فارسًا على حصان أبيض لتعجبني، ليس عليك أن تغمرني بالهدايا الفاخرة لتثبت حبك لي.أعتذر. أعتذر منك فعلا لأنني اعترضت أحيانا على طريقة حبك لي، كنت غبية. أعترف. وكيف لا أكون؟ ألا يكفيني أنك تطيب خاطري إذا حزنت؟ تمسح دمعتي إذا بكيت؟ تخبئني بين أضلعك إذا خفت؟ ألا تكفيني عيناك بكل ما تحملانه لي؟ أنا لم أرَي في حياتي عينانِ تحملان كل هذا الحنان مثلما رأيت في عينيك. لم أرَي هذه الرقة والبراءة في عينيّ رجل من جنس الرجال أولٰئك مثلما رأيت في عينيك. نعم، لم أقترب من أحد مثلما اقتربت منك. لكنني أعرف لغة العيون جيدا. وأشهدُ أن عينيك فيمهما كل جمال الكون ورقته.

قال مُمازحًا إياها:

-انا بي كل هذا؟! انتِ تتحدثين عن شخص أخر بلا أدني شك.

لكمته علي كتفه في غيظ:

-وهل يوجد أبله غيرك هُنا؟!

ضحك الإثنين، وأتبع جلال:

-ماذا عن الأمان الان؟ هل تشعرين بالطمأنينة معي؟!

-بلي ،يكفي أنك تشعرني بها الان، يكفي أن وجع قلبي يسكن على يديك، يكفي أنك علّمتني معنى الحب.

رد جلال في تحدٍ:

-إذن تعترفين بحبك ها؟

قالت سلوي بحنو علي عكس ما جُبل بداخل جلال:

-أحبك، وأؤمن بحبك، وأصدق كل نظرة حنان توجهها لي، وأسمع كل همسة حب تصل منك لقلبي.أنتَ فارسي حقا، وأنا أميرتك.لكن على طريقتنا نحن.. لا كما يجب أن نكون.

إحتضنها جلال في حين أنهت حديثها:

-وانا لا أملك أمام حبكِ خيار، هيا فلنمارس إنفعالات تحبينها وأحبها انا.

أطفئا الانوار، ومن هنا بدأت قصه حب جديده خالدة بين جلال وسلوي.

حُب لكن بالحلال.....

معلومات للتواصل

الاسم / حسين أبو طايع

السن / ٢٢ سنة

حساب الفيس بوك /

https: / /www.facebook.com /husseinabotaie

الجيميل /

majour569@gmail.com

رقم التلفون والواتس اب /

٠١١٢٧٥٤٤٥٦٤